بلاغة التنوع في أسلوب العرض للقصص القرآني
بحسب اختلاف السياق

(قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الدعوة أنموذجاً)

إعداد

د/ فاطمة الزهراء أبو الحمد حسين أحمد

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بسوهاج – جامعة الأزهر

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

بلاغة التنوع في أسلوب العرض للقصص القرآني بحسب اختلاف السياق (قصة إبراهيم . عليه السلام . في الدعوة أنموذجًا)

فاطمة الزهراء أبو الحمد حسين أحمد.

قسم البلاغة والنقد (شعبة اللغة العربية) كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: fatimahussain.3519@azhar.edu.eg

الملخص: قصة إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه وقومه، وجدت فيها مدى روعة تسلسل القصص القرآني وسرده على نحو رائع، جعلني عاجزة أمام هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد سلك إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لقومه مسلك الحوار، وهو يمثل قمة الحرية والديمقراطية، فالدين لا ينتشر بالقوة والغصب بل بالحوار والحجة والأدلة المقنعة، وهذا الذي حث عليه الله (ﷻ) نبيه المصطفى(ﷺ)، ولكن الحوار اختلف من حيث القوة، والهدوء، والاقناع بالحجج العقلية الواضحة، فهو حوار هادئ مع أبيه في "مريم"، ومع أبيه وقومه في " الشعراء"، وحوار قائم على الحجة والأدلة والبراهين في" الأنبياء"، وحوار ارتفع واشتد في" الصافات، والأنعام".

وقد سرت في هذا البحث على النحو التالي: مقدمة، وتمهيد، وثلاث فصول، وفهارس فنية متنوعة.

الفصل الأول: بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة إبراهيم– عليه السلام– في دعوته لأبيه (أو عمه)، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة.

الفصل الثاني: بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة إبراهيم– عليه السلام– في دعوته لأبيه وقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة.

الفصل الثالث: بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة إبراهيم– عليه السلام– في دعوته لقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة.

الكلمات المفتاحية: التنوع، العرض، قصة إبراهيم–عليه السلام–، الدعوة إلى الله، السياق.

ملخص اللغة الإنجليزية

The eloquence of diversity in the presentation style of Quranic stories according to the difference in context

(The story of Abraham – peace be upon him – in advocacy as an example)

Fatima Zahraa Abu Al-Hamad Hussein Ahmed.

Rhetoric and Criticism Department (Arabic Language Division) College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag.

Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email: fatimahussain.3519@azhar.edu.eg

The story of Abraham – peace be upon him – in his call to his father and his people, and God (peace be upon him) helped me to choose him, and I found how wonderful the Qur'anic stories were sequenced and narrated in a wonderful way. It made me helpless before this book that does not leave out the small or the big without counting them, this book that no matter what you say. In it, all the words of this world are not enough for him, and I do not even say anything in it.

I proceeded in this research as follows: an introduction, a preface, three chapters, and various technical indexes.

Chapter One: The eloquence of diversity in the style of presentation of the story of Abraham – peace be upon him – in his call to his father (or uncle), and its compatibility with the meanings and methods of the story.

Chapter Two: The eloquence of diversity in the style of presentation of the story of Abraham – peace be upon him – in his call to his father and his people, and its compatibility with the meanings and methods of the story.

Chapter Three: The eloquence of diversity in the presentation style of the story of Abraham – peace be upon him – in his call to his people, and its compatibility with the meanings and methods of the story.

Keywords: diversity, presentation, the story of Abraham – peace be upon him –, the call to God, context.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الحمدُ للهِ الذي أنعمَ علينَا بِلُغةِ القرآنِ، وبَعثةِ الحبيبِ المصطفى(ﷺ)، وجَعَلَ حُبَّهُ دليلًا على صدقِ الإيمانِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى رَسولِ الأُمةِ، ومُعلمِ البشريةِ ، وقائدِ المسلمينَ إلى دارِ النعيمِ، وعَلَى آلهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعين.

وبعدُ ؛؛؛

القرآنُ الكريمُ كتابُ اللهِ العظيمِ الذي أنزلهُ على نبيهِ الحبيبِ (ﷺ)، وتحدَّى به عظماءَ المشركينِ وكفارَهُم، أنزلهُ (ﷻ) بلسانٍ عربيٍ مبينٍ لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

وقد اخترتُ هذا البحثَ في قصةِ إبراهيمَ – عليهِ السلامُ– في دعوته لأبيهِ وقومهِ، حيث وجدتُ مدى روعةِ تسلسلِ القصصِ القرآنيِ وسردَهُ على نحوٍ رائعٍ، جعلني عاجزةً أمامَ هذا الكتابِ الذي لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصَاها.

وقد سلكَ إبراهيمُ – عليهِ السلامُ– في دعوتهِ لقومِه مسلكَ الحوارِ، وهو يُمثلُ قمةَ الحريةِ والديمقراطية، فالدينُ لا ينتشرُ بالقوةِ والغصبِ بل بالحوارِ والحجةِ والأدلةِ المقنعةِ، وهذا الذي حثَّ عليهِ اللهُ (ﷻ) نبيَهُ المصطفى(ﷺ)، ولكنَّ الحوارَ اختلف من حيثُ القوةِ، والهدوءِ، والاقناعِ بالحججِ العقليةِ الواضحةِ، فهو حوارُ هادئٌ مع أبيهِ في سورةِ" مريم"، ومع أبيهِ وقومِه في سورةِ "الشعراء"، وحوارُ قائمُ على الحجةِ والأدلةِ والبراهينِ في سورةِ "الأنبياء"، وحوارُ ارتفعَ واشتدَ في سورتي "الصافات، والأنعام".

أهدافُ الدراسةِ:

– تهدف الدراسةُ إلى التعرفِ على التكاملِ المعرفي بين العلومِ الشرعيةِ وعلومِ اللغةِ العربيةِ، وبالأخصِ علمُ البلاغةِ، وأوضحتِ الدراسةُ أنَّ القرآنَ الكريمَ هو المصدرُ الذي انبثقتْ منه العلومُ الشرعيةِ من تفسيرٍ وفقهٍ وقراءاتٍ

وغيرها، وأشارتِ الدراسةُ إلى البلاغةِ وإعجازِ القرآنِ الكريمِ ومدى الاختلافِ في الإعجازِ البلاغي في القرآنِ الكريمِ، وارتباطِ العلومِ الشرعيةِ بعلومِ اللغةِ العربيةِ ارتباطًا وثيقًا، وهو ما أمكن الوقوفُ عليه من خلالِ العديدِ من مستوياتِ الترابطِ سواءٍ على مستوى المنهجِ أو الآلياتِ المعرفيةِ التي تُشكلُ استمداداتٍ متبادلةٍ بين العلومِ الشرعيةِ والعلومِ اللغوية.

– الوقوفُ على العلاقةِ بين علمِ البلاغةِ وعلمِ التفسير، فعلمِ التفسير هو العلمُ الذي يُعينُ على كشفِ وبيانِ معاني آياتِ القرآنِ الكريمِ واستخراجِ الأحكامِ منها، أمَّا البلاغةُ فهي راجعةٌ إلى اللفظِ باعتبارِ إفادتهِ المعنى بالتركيب، أي أن الكشفَ عن المعنى والوصولِ إلى المقصودِ هو من البلاغةِ، وهذا بحدِ ذاتهِ يكشفُ عن علاقةِ البلاغةِ بالتفسير، كما أن اختيارَ اللفظةِ القرآنيةِ الذي هو من مظاهرِ البلاغةِ أمرٌ شديدُ الصلةِ بالمعنى الذي تفيدهُ الآية.

وقد سرتُ في هذه الدراسةِ على المنهجِ الوصفِي الاستقرائي القائمِ على التحليلِ البلاغي، وتتكونُ الدراسةُ من مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ فصولٍ، وفهارسَ فنيةٍ متنوعةٍ.

الفصلُ الأولُ: بلاغةُ التنوعِ في أسلوبِ العرضِ لقصةِ إبراهيمَ – عليه السلام– في دعوتهِ لأبيهِ، وتلاؤمه مع معاني وأساليبِ القصة.

الفصلُ الثاني: بلاغةُ التنوعِ في أسلوبِ العرضِ لقصةِ إبراهيمَ – عليه السلام– في دعوتهِ لأبيهِ وقومهِ، وتلاؤمه مع معاني وأساليبِ القصة.

الفصلُ الثالثُ: بلاغةُ التنوعِ في أسلوبِ العرضِ لقصةِ إبراهيمَ – عليه السلام– في دعوتهِ لقومهِ، وتلاؤمه مع معاني وأساليبِ القصة.

" والله ولي التوفيق"

التمهيد

سيدنا إبراهيم– عليه السلام– والدعوة إلى عبادة الله (ﷻ)

دعا إبراهيم –عليه السلام– قومه إلى عبادة الله (ﷻ)، ووردت تلك الدعوة في سور متفرقة من القرآن الكريم، ولكنها تختلف من حيث الأسلوب والمنهاج الذي سلكه إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه وقومه؛ فقد أرسله الله (ﷻ) إليهم ليدعوهم إلى دين العزة والكرامة.

يدعوهم إلى عبادته (ﷻ) وحده لا شريك له، وترك تلك المعبودات الباطلة التي لا تحقق لهم ضرًا ولا نفعًا، فهي معبودات من صنع أيديهم، وكيف يعبد الإنسان العاقل المفكر شيئًا من صنع يديه؟.

وإبراهيم –عليه السلام– حاول إرشادهم إلى طريق الصواب والفلاح ولكنهم أعرضوا عن هذا، وكأنَّ عقولهم قد توقفت عن التفكير والتأمل والتدبر فكل ما هو محيط بهم مخلوق له (ﷻ)، وهم يتمتعون بتلك النعم ويجحدون بالمنعم بها، وكان من الطبيعي أن يبدأ –عليه السلام – دعوته لأقرب الناس إليه، وهدايته إلى الصواب؛ لأنه مسئول عنه أمام الله (ﷻ)، واتبع في دعوته له كل الطرق من العطف، والرحمة، والشفقة، والحنان، إلى القوة، والتوبيخ، والتعنيف، ثم اتجه إلى دعوة قومه وهم من المنتظر أن يسارعوا إلى الاستجابة له في دعوته فهم أهله وعشيرته، وقد سلك رسولنا الكريم محمد (ﷺ) هذا المسلك؛ استجابة لأمر الله (ﷻ) له بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1].

ولما وجد إبراهيم – عليه السلام– إعراضًا وجفاءً من أبيه، بذل ما في وسعه لإقناع قومه وهم مستمرون في ضلالهم وكفرهم، ولكن لم يستجيبوا لنصحه وانتهى الأمر إلى أن حطم أصنامهم، وقاموا بإلقائه في النار، فنجاه الله (ﷻ) منها وخرج قوي العزيمة، ثابت الإرادة والإيمان.

---

(١) سورة الشعراء :(٢١٤).

وقد سلك إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لقومه مسلك الحوار، وهو يمثل قمة الحرية والديمقراطية فالدين لا ينتشر بالقوة والغصب بل بالحوار والحجة والأدلة المقنعة، وهذا الذي حثَّ عليه الله (ﷻ) نبيه المصطفى(ﷺ) حين يقول له:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، ولكن الحوار اختلف من حيث القوة، والهدوء، والاقناع بالحجج العقلية الواضحة، فهو حوار هادئ مع أبيه في " مريم"، ومع أبيه وقومه في " الشعراء".

وحوار قائم على الحجة والأدلة والبراهين في" الأنبياء"، وحوار ارتفع واشتد في" الصافات، والأنعام".

وكل هذا في مصلحتهم فهو السبيل إلى النجاة من عذاب الله (ﷻ)، وعقابه الأليم.

وكلمة **(دَعْوة)** "مشتقة من دَعَا بالشيء، دعوة، ودعاة، ودعوى: طلب إحضاره، يقال: دَعَا فلانًا: " صاح به وناداه"، ودعا لفلان: طلب له الخير، ودعاه إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه".[2]

"وإبراهيم – عليه السلام– هو: إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ ابن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن سام بن نوح، واختلف العلماء في اسم أبيه " آزر"، وأجمع أهل النسب منهم ابن عباس على أن اسم أبيه تارح، وقال ابن جرير: والصواب أن اسمه " آزر"، ولعل له اسمان علمان أو أحدهما لقب والآخر علم، وتلك الأسماء لا تَهُم؛ لأن المهم هو الجفاء والمعاملة السيئة التي قابلوا إبراهيم –عليه السلام– بها، وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطبًا من جميع الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له حتى أن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر

(١) سورة النحل: (١٢٥).

(٢) لسان العرب، مادة: (د ع ا).

لئن عوفيت لتحملن حطبًا لحريق إبراهيم عليه السلام".[١]

وأساليب قصة الدعوة اختلفت بين أساليب إنشائية متنوعة تُشعر بالقرابة، والحنو والشفقة أحيانًا، وبالشدة والقوة أحيانًا أخرى، أو أساليب خبرية مؤكدة وغير مؤكدة، تجمع في نظمها بين القوة، والجزالة، والسهولة، وصور بيانية معبرة أتم تعبير عن الغرض والهدف المنشود منها، وبين آيات طويلة، ومتوسطة؛ تبرز مدى قوة أو هدوء الدعوة الجليلة.

وبداية القصة والحوار من جانب إبراهيم – عليه السلام–، وكيف أثرت تلك البداية على باقي القصة ومنهجها، سواء كان منهاج قوة وشدة، أو منهاج رفق ولين.

وأن إبراهيم – عليه السلام– لم يبدأ بالأمر المباشر لهم، بل أخذهم على مراحل وفترات حتى لا يحدث نفور وبعد عنه، ويترتب على هذا النفور الكراهية للدين (معاذ الله)؛ لأن "الفرق بين الدعوة والأمر فرق كبير يظهر من اختلاف؛ لأن في الأمر بالفعل وتركه مباشرة يقتضي الزجر، وله صيغة تنبئ عنه وكلاهما طلب إلَّا أن الدعوة يقتضي أن يكون المأمور به دون الأمر مباشرة في الرتبة".[٢]

فأولية الدعوة تمثلها سور(الأنعام– الشعراء)، بينما (مريم، الصافات، الأنبياء، العنكبوت) تمثل مراحل متأخرة ومتفاوتة من الدعوة.

وإبراهيم – عليه السلام– لم يدعوهم مرة واحدة من وقت وزمان ومكان واحد، بل حاول معهم بشتى الطرق وكل الأساليب ولكن لا فائدة، وكأنَّ أبصارهم وبصيرتهم قد طمستها حجب وغمامة هائلة لا تتحرك.

---

(١) قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق/ محمد أحمد عبد العزيز، الطبعة الثامنة، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، دار الحديث، صـ ١١٤– ١٢١.

(٢) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، صـ ٩٠٣، مكتبة مشكاة الإسلامية.

وفي المقابل أنعم الله (ﷻ) عليه بالذرية الصالحة، وجعل في تلك الذرية الذكر والثناء الحسن بين الناس، وهذا ما كان يدعو له إبراهيم – عليه السلام–، وخاصة بعد هجرته وبعده عن قومه وأهله.

والقصة القرآنية عند خضوعها للغرض الديني فيترك في طريقة عرضها أثارًا واضحة.

ومنها أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى، ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها، إنما هو تكرار لبعض أجزائها، وإشارة سريعة إلى موضوع العبرة فيها، أمَّا القصة نفسها فلا تكرر إلا نادرًا، ولمناسبات خاصة في السياق، فبعض القصص يبدأ بإشارة مقتضبة ثم تطول تلك الإشارات شيئًا فشيئًا ثم تكون القصة كلها(١).

فقصة إبراهيم – عليه السلام– في الدعوة لله (ﷻ) تعرض في سورة متأخرة نسبيًا.

تبدأ قصته فتى ينظر إلى السماء فيرى نجمًا فيظنه إلهه، فإذا أفل قال: لا أحب الآفلين ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربه، ولكنه يأفل كذلك فيتركه ويمضي، ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ويظنها – ولا شك– إلهًا!، ولكنها تخلف ظنه أيضًا فيفيئ إلى ربه الذي لا يُرى ويدعو أباه وقومه إلى هذا الإله الواحد فلا يجيبونه، فيحطم أصنامهم في غفلة منهم ويهمون بإحراقه فينجيه الله منهم: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٢).

"ومن أغراض القصة أيضًا إثبات وحدة الإله، ووحدة الدين، ووحدة طرائق الدعوة، ووحدة المصير الذي يلقاه المكذبون؛ فنشأ عن خضوع القصة لتلك

(١) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم(دراسة بلاغية نظرية تطبيقية)، أ.د/ إبراهيم صلاح السيد الهدهد، صـ٥٧٢، ٥٧٣، (بتصرف) الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، مكتبة الإيمان، القاهرة.

(٢) سورة الأنبياء: (٦٩).

الأغراض أن يعرض شريط الأنبياء والرسل الداعين إلى الإيمان بدين واحد، والإنسانية المكذبة بهذا الدين الواحد مرات متعددة بتعدد هذه الأغراض، وأن ينشئ هذا ظاهرة التكرار في بعض المواضع؛ ولكن هذا أنشأ جمالًا فنيًا من ناحية أخرى، ذلك أن عرض الشريط للمتأمل أنه نبي واحد وإنسانية واحدة على تطاول الأزمان، كل نبي يمر وهو يقول كلمته الهادية، فتكذبه هذه الإنسانية الضالة ثم يمضي، ويجيء تاليه فيقول الكلمة ذاتها ويمضي".[١]

وتظهر شخصية إبراهيم –عليه السلام– التي تمثل التسامح والرحمة والعطف، شخصية مميزة الملامح واضحة السمات، والمعالم الطيبة الهادئة الرقيقة في معاملته لأبيه مع كفره وعناده وإصراره على الضلال، وهذه المسيرة العظيمة المفعمة بالجهاد في سبيل الله (ﷻ) حيث وإن لاقى فيها إبراهيم– عليه السلام– المعاناة والمعاملة القاسية الغليظة فهي في سبيل الله (ﷻ) لا في سبيل مصلحة دنيوية.

فأمَّا دعوته لأبيه فقط كانت في سورتي:(الأنعام ومريم) مع اختلاف في المنهج.

ودعوته لأبيه وقومه في (الشعراء والأنبياء والصافات) مع اختلاف في درجة الحوار.

ودعوته لقومه فقط في سورة (العنكبوت).

وهكذا نلاحظ النظم القرآني العظيم في تسلسل الأحداث وسردها على نحو فيه إيقاظ للأسماع وتنبيه للأذهان والعقول.

وبدأت الدعوات في السور بدايات مختلفة يتلاءم مع سياق السور التي وردت فيها وربط السابق باللاحق.

وكيف أن بعض السور جاءت بقصة الدعوة مفصلة تفصيلًا رائعًا، بينما اقتصرت بعض السور على عرض بعض الأحداث دون تفصيل، وسردها في

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم، لسيد قطب، الطبعة الثالثة، صـ ٩١.

إيجاز بديع وكأنَّ كل السور تكمل بعضها البعض ولا يمكن فصلها.

بعض السور طوت مشهد إلقاء إبراهيم – عليه السلام– في النار ولخصته في آية أو اثنتين جاءت السور الأخرى مفصلة لهذا المشهد العظيم؛ لتظهر مدى قسوة هؤلاء القوم ومدى شدتهم في تعاملهم مع هذا النبي الحليم، وقبل أن يكون نبيًا منزلٌ من الله (ﷻ) فهو ابنهم ومن سلالتهم وذريتهم.

وتلك المطالع تجمع في نظمها بين القوة والجزالة، والسهولة، وبين آيات طويلة، ومتوسطة؛ تبرز مدى قوة أو هدوء الدعوة الجليلة.

القصة القرآنية أعظم دليل على إعجاز القرآن الحكيم، الذي تحدى به الرسول (ﷺ) أعاظم العرب فلم يستطيعوا أن يأتوا بآية أو سورة من مثله.

وتبرز مدى الجفاء والغلظة التي لاقاها الأنبياء في دعوتهم إلى الله (ﷻ)، ومع ذلك صبروا وتحملوا فهم أصحاب الرسالات السماوية العظيمة الذين فضلهم الله (ﷻ) على كافة خلقه أجمعين.

الفصل الأول

بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه (أو عمه)، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة (سورة مريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠ ﴾[1] . صدق الله العظيم

سورة الأنعام

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ

(١) سورة مريم: (٤١: ٥٠).

وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ (1) . صدق الله العظيم

(١) سورة الأنعام: (٧٤: ٩٠).

بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في دعوته لأبيه (أو عمه)، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة

وردت قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه فقط في سورتي مريم والأنعام، فيتشابه المطلعان في توجيه الدعوة إلى أبيه فقط، "اختلف المفسرون هل هو أبوه الحقيقي أم عمه؛ لأنه عندما يطلق اسم الأب قد يراد به العم، ولذلك نقول أبيه أو عمه".(١)

" لو أن القرآن الكريم حينما تحدث عن أبي إبراهيم، فقال: (مج) في كل الآيات لانصرف المعنى إلى الأبوة الصلبية الحقيقية، أمَّا أن يقول ولو مرة واحدة:﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾؛

فهذا يعني أن المراد عمه؛ لأنه لا يؤتي العلم بعد الأبوة إلا إذا أردنا العم، كما نقول نحن الآن حين نريد الأبوة الحقيقية: جاء أبوك هكذا مبهمة دون تسمية، وفي الأبوة غير الحقيقية نقول: جاء أبوك فلان، وبناءً عليه فقد ورد قوله تعالى: ﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ مرة واحدة؛ ليثبت لنا أن آزر ليس هو الأب الصلبي لإبراهيم"(٢).

فالمطلعان في القصتين بُنيا على استحضار الصورة الماضية إلا أنه ذكر صريحًا في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ ، بينما لم يصرح بها في سورة الأنعام، فقال: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ إنما دلَّت عليها (إذ) بمعنى (اذكر لهم في وقت قول إبراهيم لأبيه أتتخذ أصنامًا آلهة)؛ موبخًا له على عبادة الأصنام.

---

(١) روح المعاني للآلوسي، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى، دار الغد العربي، جـ٥، صـ ٤٠٨، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

(٢) تفسير القرآن الكريم، للإمام/ محمد متولى الشعراوي، أخبار اليوم، مكتبة الأسرة، ط١٩٩٢م.

ويرجع ذلك إلى أن سورة مريم ذكرت فيها (وَٱذۡكُرۡ) صراحةً؛ توافقًا مع بدايات القصص السابقة عليها، حيث بدأت كلها بـ(وَٱذۡكُرۡ)، فذكرت في قصة إبراهيم – عليه السلام– لمناسبة السابق واللاحق، وأن منهاج سورة مريم يقوم على الرحمة والعطف ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾، فالقصص فيها ورد في سياق الرحمة، والشفقة، والعطف، والدعوة فيها كانت في مرحلة متأخرة، بينما سياق سورة الأنعام يقوم على الإقناع، والاحتجاج العقلي أكثر؛ لأن سورة الأنعام تقوم على التشريع، والدعوة فيها كانت في بدايتها.

في مريم: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾

وفي الأنعام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾

في سورة مريم أضمر القائل وهو إبراهيم – عليه السلام–؛ لتقدم ذكره في الآية السابقة عليها.

وأظهره في الأنعام لعدم تقدم ذكره فيها، وأن سورة الأنعام تخلو من القصص المفصل للأنبياء إلا من قصة إبراهيم – عليه السلام– وأن مواجهته فيها كانت أكثر شدة وقوة؛ لأنها تمثل مرحلة البداية في الدعوة، ومريم تمثل مرحلة متأخرة، فكانت تقوم على اللطف، والشفقة في الدعوة.

في مطلع مريم قال: ﴿ لِأَبِيهِ ﴾، وفي مطلع الأنعام قال: ﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾؛ ولعل السر في ذلك أن الكلام جرى في الآية الأولى على منهاج الرفق والأناة كما هو مطلوب في مخاطبة الأب، فعلم من ذلك أنه أبوه الحقيقي بدلالة الأسلوب، وقرر ذلك بندائه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ﴾ وتكرار هذا النداء في الآيات التالية، وهذا مناسب لسياق سورة مريم؛ لأن آياتها تفيض رحمة وعطفًا وشفقة ﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾.

"وأن دعوة إبراهيم – عليه السلام– في سورة مريم لم تتعد أباه، بخلاف الأنعام أدخل فيها قومه فكانت دعوته فيها أكثر قوة وأشد في التوبيخ، بينما في الأنعام علت نبرة التعنيف بعد أن تبين إصرار الأب على الكفر والعناد مع القوم، وهذا غير معتاد في مخاطبة الآباء فصرح باسم الأب دلالة على أنه الأب الحقيقي لا على سبيل المجاز الذي يوحي به الأسلوب التوبيخي، هذا يسقط ما قاله بعض المفسرين من أن (مح) ليس الأب الحقيقي بدليل مخاطبته بالغلظة والجفاء".(١)

وعلى ما ظهر تكون الغلظة سبب من أسباب إظهار اسم الأب، وهي من مقتضيات المقام بعد ظهور إصرار الأب على الكفر والعناد، وما في الآية ليس من قبيل الغلظة المحرمة فهي في سبيل الله (ﷻ) لا في سبيل مصلحة دنيوية، ولم تزد عن كونها مصارحة بالحقيقة، وحكاية للحال القائمة.(٢)

ويُلاحظ أن مطلع الخطاب في مريم قد سُبق الاستفهام فيه نداء، بينما في الأنعام جاء الاستفهام مباشرة: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ...﴾ والأنعام:" ﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا...﴾.

ولا شك أن النداء قبل الاستفهام فيه أكثر تلطف، وجاء في معناه الأصلي وهو طلب الإقبال، واستعمل معه ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ للبعيد مع أنه بجواره؛ للإشعار برفعته، وليس هذا نداءً محضًا بل يحمل في طياته الإشفاق وتحريك مشاعر الأبوة؛ لأن السياق السابق واللاحق في سورة مريم متمحض في العطف واللين.

قال الزمخشري: " انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطًا فيه من الخطأ العظيم، كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق

(١) روح المعاني للآلوسي، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، جـ٥، صـ ٤١١.

(٢) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم – عليه السلام– د/ الشحات محمد أبو ستيت، صـ ٢٥١، ٢٥٢، (بتصرف)، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ– ١٩٩١م.

مساق، مع استعمال المجاملة واللطف، والرفق، واللين، والأدب الجميل، والخلق الحسن، منتصحًا في ذلك بنصيحة ربَّه عز وعلا".(١)

ولم يذكر هذا النداء مطلقًا في الأنعام؛ لأن سياق القصة في سورة الأنعام يقوم على الحوار والجدل العقلي ومحاولة الإقناع، وهذا مناسب لسياق السورة؛ لأنها تقوم على التشريع؛ فكان المطلع يتسم بالشدة أكثر منه في سورة مريم؛ لأن سياق سورة الأنعام يقوم على تفصيل حقيقة تلك المعبودات الباطلة وإثبات عدم أحقيتها للعبادة.

فبنيت الدعوة فيها على المصارحة بالحقيقة مهما كانت شديدة ومؤلمة مع اللوم والتعنيف عليها.

وسورة مريم كانت متمحضة لدعوة أبيه فقط، بينما في الأنعام أدخل قومه فيها: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

الاستفهام في كلتا السورتين موجه لأبيه في مريم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ...﴾ والأنعام :﴿أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا... ﴾، وإن كان في سورة مريم رقيقًا لينًا ورد في صيغة سؤال عن العلة في عبادة مالا ينفع، وكأنه بذلك يتيح لأبيه فرصة يجيب فيها ويبين عذره، وهذا يتلاءم مع جو القصة المفعم باللطف في دعواه لأبيه، وتكرار هذا الاستعطاف كثيرًا في كل آية ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، ولفظ الأبوة المشعر بالحنو والرقة، وفيه معنى الإقبال.

﴿لِمَ تَعۡبُدُ﴾ "استفهام لإنكار الواقع؛ لأن أباه كان يعبد الأصنام فعلًا حين وجه إليه القول؛ فلم يستخدم الإنكار الصريح واستخدم الإنكار المتواري خلف

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للعلامة/ جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود– الشيخ/ علي محمد معوض، د/ فتحي عبد الرحمن حجازي، المجلد الخامس، صـ ٤، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

الاستفهام لما فيه من رقة ولين ومحاولة الإقناع بعدم نفعها، بينما الاستفهام في سورة الأنعام جاء منطويًا على توبيخ شديد وتهكم حيث جاء بالهمزة وهي أصل، ولم يكن استفهام عن العلة، وإنما كان عن وصف الوضع المتلبس به واللوم عليه، وهو استفهام إنكاري"[١] مشوب بالتوبيخ والتسفيه[٢].

والاستفهام مسلط على الاتخاذ المتعلق بغير الله (ﷻ)، سواء كان المتخذ أصنامًا أو صنمًا واحدا، وأن قومه كانوا يعبدون جمعًا من الأصنام صنمًا واحدا؛ لذلك ذكر الجمع، وتدل على أن الاتخاذ مبني على الاختيار، وتلك المعبودات يتنافى اتخاذها آلهة مع أبسط مقررات العقول، وهذا لأصلها الجمادي الذي لا حول له ولا قوة.[٣]

وفي ذكر أبيه وتقديمه على (ءَازَرَ)؛ إشعارٌ بأن الباطل لابدَّ أن ينتهي مهما كان صاحب هذا الباطل، فإبراهيم -عليه السلام- لم يمنعه مانع من مواجهة أبيه وإنكار الباطل عليه.

في مريم: ﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾، وفي الأنعام: ﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾

" فجاء بالكناية في مريم لما فيها من رقة وعطفٍ وأن ذلك يمنعه من التصادم مع أبيه والجدال معه، وهذا مناسب لسياق الرحمة والعطف في سورة مريم، فهي كناية عن الأصنام ولم يقتصر على سلب السمع والبصر فقط بل جميع القدرات عن تلك الأصنام".[٤]

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، جـ٢ صـ٢٧٣، ٢٧٤، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، جـ٧ ، صـ ٣١٢.

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام، د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، (بتصرف) جـ١، صـ ٣٢٠.

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام، د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، جـ٢ ، صـ ٢٧٤.

وكلمة ﴿شَيۡـٔٗا﴾ تفيد العموم والشمول في نفي كل الأشياء عنها.

بينما صرح بها في سورة الأنعام ﴿أَصۡنَامًا ءَالِهَةً﴾ وذلك متابعة لنهج الصراحة والإقناع الذي انتهجه فيها إبراهيم – عليه السلام–، وكان فيها صدام ومواجهة أكثر مع أبيه على تلك العبادة.

ومن دلائل الرحمة والعطف التي سلكها إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه:

١–﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ولفظ الأبوة المشعر بالرقة والحنو كما بينا.

٢– ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا﴾ و (من) التبعيضية تدل على كمال أدبه في مخاطبة أبيه وتواضعه مع ما أوتي من علم لم ينعت أباه بالجهل[١] المفرط، ولا وصف نفسه بالعلم الفائق، (والصراط السوي) على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية؛ لأنه يصل بالإنسان إلى السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

٣– ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾، وإظهار الشيطان في موضع الإضمار؛ زيادة في التنفير منه والاستهزاء به، والجملة الثانية بمثابة جواب عن سؤال في الجملة الأولى، وصيغة المبالغة تدل على أنه لا يفارقه العصيان وأنه متمكن منه [٢].

٤– ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾، ومع أنه يحذره من عذاب الله (ﷻ) إلا أنه استعمل في التحذير كل لطف ورقة؛ ليناسب مقام الشفقة عليه، وكلمة الخوف تدل على عدم القطع، والمس مشعر بالتقليل، وتنكير(ني) كذلك، ووصفه بأنه من الرحمن إشعار

(١) تفسير الكشاف للزمخشري جـ٢، صـ ٥١١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، للشيخ/ الطاهر بن عاشور، جـ١٦، صـ ١١٧، المطبعة التونسية.

بالتخفيف، وكل هذا يتلاءم مع تلطفه مع أبيه وحسن الأدب معه[١].

وفي المقابل نجد الشدة التي انتهجها إبراهيم – عليه السلام– مع أبيه في سورة الأنعام، وأدخل فيها قومه؛ لأنهم مشتركون مع أبيه في تلك العبادة الضالة.

ويظهر ذلك في قوله:﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ من خلال عرض الحقائق الذي استلزم فيه التعبير بـ ﴿أَرَىٰكَ ﴾دون (أجِدُك)؛ لأن" الرؤية فيها دلالة على اليقين التام عن طريق المعاينة والمشاهدة بأنه ضلال ظاهر مشاهد للعيان من غير شبهة"[٢]، وتنكيره ووصفه بـ(نى)؛ دلالةً على أنه ضلال هائل، وفيها من الشدة ما لا يخفى، بينما في سورة مريم لم تذكر كلمة ضلال؛ لأن القصة فيها خالصة للعطف والرقة في معاملته لأبيه، ولم يذكر فيها قومه.

وتلك الآية مشعرة بالإنذار القوي الذي وجهه إبراهيم – عليه السلام– لأبيه وقومه.

"وهنا احتجاج بأن الدعوة بالرفق أكثر تأثيرًا من الشدة؛ لأن الخشونة والشدة توجب النفور، فلا تليق من غير إبراهيم – عليه السلام– مع الأجانب، فكيف تليق منه مع أبيه وهو الأواه الحليم، وأجيب بأن هذا ليس من الإيذاء المحرم في شيء؛ لأن الإنسان قد يقسو على شخص لمنفعته، كقول أبي تمام:

فَقَسَّا لِيَزدجِرُوا ومَنْ يَك حَازِمًا *** فَليقَس أَحيانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

وكون الرفق أكثر تأثيرًا غير مسلم به على الإطلاق، لأن المقامات متفاوتة، كقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، وتارة أخرى يقول له: ﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[٣].

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، جـ٦ ، صـ١٦١، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م.

(٢) الفروق اللغوية، للعسكري.

(٣) روح المعاني للآلوسي، تحقيق د/ طه عبد الرؤوف مسعد، جـ٥، صـ ٤١١، ٤١٢، الطبعة الأولى.

وأن دعوة إبراهيم –عليه السلام– لأبيه في سورة الأنعام جاءت في صدر موضوع إبطال عبادة الكواكب، وهو مختلف عن موضوع سورة مريم التي تدور كلها في محيط عبادة الأصنام.

بينما استعمل إبراهيم – عليه السلام– في سورة مريم منهاج الرفق والاستعطاف الذي قابله أبوه بالإنكار والجفاء متمثلًا في قوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، بالاستفهام الإنكاري في النداء باسمه (إبراهيم)، وليس (يا بني) كما قال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، النداء تكملة للإنكار؛ لأن المتكلم ينزله منزلة الغائب فيناديه لإرجاع رشده إليه(١).

وتهديده ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ وجاء به من قبل الشرط والجواب؛ للقطع بوقوع المهدد به، والأمر بالهجر وما يمثله من قوة، وشدة، وتهديد.

وانظر في سورة الأنعام إلى الشدة، ولكن شدة من جانب آخر جانب قومه في قوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾، ولكن حجتهم حجة داحضة يموه بها الباطل، وهى تقوم على ادعاء تقليد الآباء واتباعهم.

وفي حذفها إيجاز بديع، "وتلك المحاجة جاءت بعد أن بين لهم عبادتهم الباطلة في الكواكب التي لا تدوم على حال أبدًا مثل: الشمس والقمر، وأنها لا تكون ظاهرة في كل الأوقات وإنما تأفل وتختفي، ومنها تصريح من إبراهيم – عليه السلام– بمعرفة الرب الحقيقي الذي بيده الهداية إلى الطريق المستقيم، ولعل سلوك هذه الطريقة مع قومه في بيان استحالة عبادة الكواكب دون عبادة الأصنام؛ لأن هذا أخفى بطلانًا من الأول، فلو صدع بالحق من أول الأمر كما فعله في حق عبادة الأصنام لتمادوا في الطغيان والمكابرة"(٢).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور(بتصرف)، جـ١٦، صـ ١١٩.

(٢) تفسير أبي السعود (بتصرف)، جـ٣ ، صـ ١٥٣.

وعاملهم إبراهيم –عليه السلام – بنفس شدتهم ﴿ أَتُحَآجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ ولكن ليس مطلق المحاجة، بل على محاجتهم في الله (ﷻ)، وهو استفهام يتبعه الزجر والإنذار، ولم تكن عن فراغ بل بعد إبراز إبراهيم –عليه السلام– للوقائع والحقائق الظاهرة التي لا جدال فيها، وهو عارف لربه ولكن ساقها لهم على سبيل الفرض والتقدير مجاراة لأبيه وقومه؛ لأن المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يعرض له بالإبطال(١).

وأكد الاستفهام التوبيخي بالجملة الحالية: ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾، وأيضًا في قوله: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ ﴾، والاستفهام لإنكار وقوع خوفه من آلهتهم ونفيه عنه بالكلية، والجملة بعدها تؤكد عدم هذا الخوف.

فقد أشركوا بالله (ﷻ) بمخلوقات قليلة الشأن لاحول لها ولا قوة، وفى هذا تهكم لاذع بهم وإشارة إلى أن الأمور الغيبية لا يعول فيها إلا على الحجة الملزمة والمنزلة من عند الله (ﷻ).

وانظر إلى الردود السابقة من قبل إبراهيم –عليه السلام– لقومه وأبيه، وإلى هذا الرد الجميل لأبيه وفيه من الأدب والرفق مع الأب ما لا يخفى.

ويعجب المرء أشد العجب من هذا الموقف الهائل ويتساءل في نفسه، ماذا كان رد إبراهيم –عليه السلام– لأبيه في مقابل هذا الإنكار والجفاء العظيم؟.

ويأتي الجواب مخالفًا لما تمليه أهواء النفوس وموافقًا لما توجبه شرائع الله (ﷻ)، وما عهدناه من أخلاق إبراهيم الأواه الحليم في رد جميل بديع.

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا * وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾.

وفي الدعاء: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾؛ "استمالة لأبيه وفى نفس الوقت توديع، وكأنه يقول: لا أصيبك بمكروه، ولا أقول لك بعد ما يؤذيك"(٢).

---

(١) التفسير البلاغي للاستفهام، جـ١ ، صـ ٣٢١.

(٢) الكشاف للزمخشري، جـ٤ ، صـ ٥٢.

وقد جاء جملة اسمية تدل على ثبوت السلام ودوامه، ونُكر للإشعار بتمام السلام وكماله.

ووعده ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾، وأكد الوعد بـ (السين)؛ لتثبيته وتأكيد معناه وأنه كائن متحقق لا محاله، ولفظ (خج) فيه من الشفقة، والتربية، والعناية بإبراهيم عليه السلام.

وأكدت جملة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾بـ (إنَّ)؛ لتأكيد حفاوة الله (ﷻ) به في كل وقت وزمان.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وبهذا استجاب إبراهيم –عليه السلام– لأبيه عندما أمره بهجرته ومفارقته له، ولكنه لم يستعمل الهجر كما قال له أبوه: ﴿وَٱهْجُرْنِى ﴾، وهو لفظ شديد الجرس يوحى بالمقاطعة والمخاصمة والمهاجرة، بينما عبر إبراهيم بـ(وَأَعْتَزِلُكُمْ)، "والعزلة سلوك محمود عند الزهاد، ولم يواجه أباه بالاعتزال له وحده بل له ولقومه، وعبر بالاعتزال في المضارع لتخفيف وقع الخبر على أبيه وهو زمان متسع"(١).

وسورة مريم جوها مناسب للاعتزال؛ لما فيه من تلطف إبراهيم –عليه السلام– وترفقه في دعوة أبيه، فهو ينطوي على المفارقة بالمعروف، والعزلة لا تقضى الهجرة بل هي أخف منها.

و قول إبراهيم: ﴿ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾.

وتصدير الكلام بـ﴿ عَسَىٰٓ ﴾؛ دليل على التواضع، "وأن الإجابة من الله (ﷻ) بطريق التفضل لا بطريق الوجوب، وبهذا حسم إبراهيم –عليه السلام – الموقف مع أبيه وقومه بأن قرر اعتزالهم واللجوء إلى الله العظيم القدير؛ لينعم

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق/ عبد الرازق غالب المهدي، جـ٨، صـ ٥٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

عليه بنعم جليله عظيمة"[1].

وتشترك مريم والأنعام في ختمها بالهبة بالذرية الصالحة ونعمه (ﷻ) العظيمة على إبراهيم وعلى ذريته من بعده مع بعض الفروق القليلة.

ففي مريم: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.[2]

وفي الأنعام: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ* وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ* ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[3]

والتعبير بالهبة مشعر بأنها بدون مقابل، وأن الله (ﷻ) راضٍ عنه حانيًا عليه من استجابة دعائه له، و لفظ الهبة ذكر أيضًا في الأنبياء: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾.

﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ وكلمة: ﴿ نَبِيًّا ﴾ جاءت تلاؤما مع نهج سورة مريم، بينما في سورة الأنعام جاءت مفصلة أكثر بذكر ذريتيه وجميع الأنبياء؛ لأن الأنعام تمثل المرحلة الأولى من الدعوة إلى الله (ﷻ)؛ لذلك جاء فيها تفصيل عميق وكثير للأحداث، وللذرية، والأنبياء أجمعين.

---

(١) تفسير أبو السعود، جـ٥، صـ ٢٦٩.

(٢) سورة مريم، (٤٩– ٥٠).

(٣) سورة الأنعام، (٨٤–٩٠).

فذكر من ذريته في الآيات السابقة ستة عشر نبيًا، وفي ذكر الهداية لهما؛ بيان لحالهما وتنويه بشأنهما؛ لما لهذا الوصف من تعظيم للمتصفين به.

وفي مريم: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾

وفي الأنعام: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾

"فجاءت الهبات مفصلة في سورة الأنعام بينما في سورة مريم أُجملت؛ لأن الدعوة فيها كانت تمثل مرحلة متأخرة، فلما ذكرت الذرية مفصلة في الأنعام أجملت في مريم، وأن رحمة الله (ﷻ) هي أساس الهبات والنعم، ودعا أن يجعل لهم ذكرًا حسنًا وثناءً جميلًا، وأطلق اللسان وأراد الذكر، مجاز مرسل علاقته الآلية، وإضافته إلى الصدق للمبالغة، وأنه ظاهر واضح، واستعير له العلو؛ لشيوع ذكرهم والثناء عليهم بين الناس"(١).

ولما كانت النعمة الأولى خاصة بإبراهيم –عليه السلام– قيل فيها: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ ﴾ والنعمة الثانية والثالثة والرابعة وهى جعلهم أنبياء وإعطائهم الرحمة والثناء عليهم بين الناس، قيل فيها: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم ﴾﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾.

وإبراهيم –عليه السلام – كان مشغول الفكر بالذرية فكان البدء بها أولى، بينما في الأنعام كانت الآيات تجمع بين الذرية الصالحة، والأنبياء الصالحين، والأنبياء الذين كان لهم سلطان ونفوذ، وفصَّل في ذكر بعض الأنبياء ثم اتبعها بعموم الذرية والآباء.

وهكذا نلاحظ أن نمط الآيات في سورة مريم لين سهل يفيض رحمة وعطفًا وشفقه، وهو ما يجرى على لسان إبراهيم –عليه السلام– ممثلًا حلمه ورفقه بأبيه، ونمط يتسم بالقوة وبعض بالتهديد والوعيد، وهو ما يجرى على

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، جـ٦، صـ ١٦٤.

لسان أبيه ممثلًا غلظته وتعنته في التمسك بالضلال.

بينما سورة الأنعام آياتها تجمع بين السهولة والجزالة من حوار إبراهيم عليه السلام مع نفسه، وإعلان البراءة من شرك قومه، ثم مواجهته لهم بالاستفهام الإنكاري والأسلوب الخبري المؤكد في كثير من جمله، وهى تخلو من قصص الأنبياء إلا من قصة إبراهيم –عليه السلام– ومواجهته لأبيه وقومه.[١]

(١) خصائص النظم القرآن في قصة إبراهيم – عليه السلام–، د/ الشحات محمد أبو ستيت، (بتصرف) صـ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٩.

الفصل الثاني

بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم– عليه السلام– في دعوته لأبيه وقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة.

في سور (الشعراء – الأنبياء– الصافات)

" سورة الشعراء"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[1] . صدق الله العظيم

" سورة الأنبياء"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

(١) سورة الشعراء، (٦٩: ٨٩).

﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾
قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن
كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (1).
صدق الله العظيم

" سورة الصافات"

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ
﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى
سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ
رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى

(١) سورة الأنبياء، (٥١: ٧٣).

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾[1] .

صدق الله العظيم

(١) سورة الصافات، (٨٣: ١١٣).

بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه وقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة

ورد مطلع قصة إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه وقومه في سور: (الشعراء– الأنبياء– الصافات)، وهذا ترتيب زمني على حسب شدة وقوة الدعوة في كل تلك السور، وهي وإن اتحدت في موضوعها العام إلا أنها تتنوع في تفصيله وعرضه، وما فيه من زيادات وإضافات متنوعة.

ففي الشعراء تبدأ القصة بداية مختلفة عن بدايات القصص التي في السورة، ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

وأول قصة فيها قصة موسى – عليه السلام– ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾، وكل قصص السورة مبدوءة بنسبة التكذيب إلى أقوام هؤلاء الرسل.

والسر في هذا الاختلاف أن إبراهيم – عليه السلام– في الشعراء يتحدث عن نفسه، وإنما جاء ذكر القوم عرضًا فلم تبدأ بنسبة التكذيب لهم كما في باقي قصص السورة.

وفي الأنبياء " تبدأ القصة بداية تعلو فيها نبرة التأكيد حيث أكدت بـ(اللام وقد): ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ولتنزيل العرب في إنكارهم لشريعة إبراهيم – عليه السلام– منزلة المنكر؛ لكون إبراهيم أوتي رشدًا وهديًا، ولهذا جاء التأكيد في موضعه من الإنكار، والجفاء، والعناد، والإصرار على الكفر" (١).

وتلك البداية تتلاءم مع بداية قصة موسى وهارون – عليهما السلام–: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ ﴾ وعلى هذا النهج بُدئت قصة إبراهيم –عليه السلام–.

(١) تفسير التحرير والتنوير، للشيخ الطاهر ابن عاشور، جـ١٧، صـ ٩٢، الطبعة التونسية.

وفي الصافات: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ *إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ وهي بداية لا تختلف كثيرًا عن بدايات القصص التي قبلها وبعدها، ومهد لذكر تلك القصص ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ *وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾، ولكن خص إبراهيم – عليه السلام– بسلامة القلب من جميع الآفات كالشرك، والنفاق والغرور، والقلب أساس تلك الأمور.

ثم تتفق المطالع الثلاثة في بنائها على استحضار الصورة الماضية، وغير مصرح بها بقوله: ﴿وَإِذۡ﴾

الشعراء: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾.

الأنبياء: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

الصافات: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾.

وفي المطالع الثلاثة واجه أباه كما واجه قومه بالنهي عن عبادة الأصنام، وتخصيص أبيه بالذكر؛ لأن أمره يهمه ومسئوليته عنه مقدمة على من سواه، واعتمدت: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ- مَاذَا تَعۡبُدُونَ- مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾.

" فجاء الاستفهام ليحقق لإبراهيم ما يرجوه من الإنكار على قومه وإرشادهم إلى الصواب، ناهجًا منهاج الهدوء والمعاملة الطيبة وإظهار قدرته تعالى ونعمه الجليلة، في مقابل تلك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع"(١)، وهذا مناسب لسياق السورة وهو الإشفاق على النبي من إساءة قومه له ، وأن ما يعبدونه لا يستحق العبادة في شيء(٢).

بينما الاستفهام في الأنبياء للتحقير والتسفيه لعقولهم، "والجملة الاستفهامية من ﴿مَا﴾ واسم الإشارة ﴿هَٰذِهِ ﴾؛ تحمل ألوانًا من التهوين والتحقير؛ إشارة إلى

(١) تفسير التحرير والتنوير، جـ١٩، صـ ١٣٧.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام، د/ المطعني، جـ٣، صـ ٩٨.

استمرارهم ودوامهم على هذه الفعلة"[١]، وهو مناسب لسياق سورة الأنبياء، وهو التقرير بأن هذه الرسالة حق ولا مجال للهو في استقبالها؛ لأنها من لدن الله تعالى.[٢]

والاستفهام في الصافات للإنكار مع التوبيخ والتسفيه؛ ففيه من الشدة والقوة ما لا يخفى،

وتظهر تلك الشدة في تركيب الاستفهام: (ماذا) من (ما) و(ذا) وهو أقوى من (ما) وحدها[٣]؛ لأن القصد من سورة الشعراء وهو تنبيهم فقط وجذب انتباههم، فكانت (ما) كافية لأداء المقصود، ولما اشتد التوبيخ لهم في مرحلة تاليه كانت: (ماذا) هي الأقوى والأنسب للمقام.[٤]

"تنوع الحوار بين المطالع الثلاث"

تتنوع المطالع الثلاثة من حيث الحوار ودرجة قوته، فهو حوار هادئ مع قومه في (الشعراء)، اعتمد فيه إبراهيم –عليه السلام – على المعاملة الطيبة لأبيه (أو عمه) وقومه؛ لكي يرغبهم في العبادة بأسلوب ليّن فيه رقَّة وعطف.

بينما الحوار في سورة (الأنبياء) أشد قليلًا، اعتمد إبراهيم – عليه السلام – فيه على الاحتجاج العقلي والإقناع بالأدلة والبراهين، فكان فيه شدة عمَّا قبله؛ لأن سورة الأنبياء تمثل مرحلة متأخرة عن الشعراء في الدعوة.

والحوار في سورة (الصافات) كان أكثر شدة وقوة، وفيه توبيخ وتعنيف أكثر من قِبَل إبراهيم –عليه السلام– وكذلك كل قصص السورة؛ لأن سورة

---

(١) تفسير أبو السعود، جـ٦، صـ ٧٢، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، جـ٤، صـ ٢٣٦٦.

(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب – القاهرة –١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم د/ المصطفى جـ٣، صـ ٣٧٥ ، ٣٧٦، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

الصافات تمثل مرحلة متأخرة عن سابقتيها.

فجاء سؤال إبراهيم –عليه السلام – في الشعراء ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾.

وجاء جواب القوم: ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾.

وفي الأنبياء: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾.

فجاء الجواب: ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾.

وفي الصافات ﴿ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴾، ولم يرد جواب للقوم عن هذا السؤال.

"والسر في هذا التنوع أن دعوة إبراهيم– عليه السلام – لأبيه وقومه لم تكن مرة واحدة بل تكررت في أساليب مختلفة ومتنوعة، إذ لا يعقل أنه دعاهم مرة واحدة بأسلوب واحد، وكان بعدها ما كان من إلقائه في النار، وبهذا يضعف ما قيل من أن القصة واحدة واختلف المحكي".(١)

فالقصة واحدة في موضوعها العام ونتيجتها النهائية لكنها اختلفت في طريقة العرض والتفصيل.

فالشعراء تمثل مرحلة أولى من مراحل الدعوة، فجاء السؤال فيها عن الماهية أي شيء تعبدون ؟ فعلم إبراهيم – عليه السلام – أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة في شيء، ولكنهم أجروه مجرى المستفهم عنها.

وفي (الأنبياء) كان السؤال أشد في التوبيخ وأقوى في السخرية: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾؛ لأنها تمثل مرحلة تالية من مراحل الدعوة، فكان السؤال فيه ينطوي على التوبيخ و حقارة تلك المعبودات من الاستفهام بـ ﴿ مَا ﴾ والإشارة القريبة ﴿ هَٰذِهِ ﴾.

وفي الصافات كان السؤال أشد وأشد في التهكم وقوة السخرية؛ لأنها تمثل مرحلة متأخرة من مراحل الدعوة، ويظهر ذلك التركيب ﴿مَاذَا﴾، وهذا يقتضى

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، للحافظ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، جـ٢ ، صـ ٨٣٨.

أن ما يعبدونه مشاهد معروف محسوس لإبراهيم – عليه السلام – فانصرف الاستفهام من الحقيقة إلى الإنكار[١].

" فجاء الجواب في الشعراء من القوم مبينين حقيقة ما يعبدونه وكيفية عبادتهم له: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، وهنا طابق الجواب السؤال وكانت إجابتهم هادئة ليس فيها أي توبيخ، ولم يقتصروا من جوابهم على كلمة أصنامًا، إنما أطالوا الجواب ابتهاجًا بعبادتها وافتخارًا بها ".[٢]

وكان جوابهم في الأنبياء: ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾، وهذا الجواب جاء في أعقاب التوبيخ الشديد والتهكم لهم من قبل إبراهيم – عليه السلام –، وقد دفعهم هذا إلى البحث عن جواب يدرؤوا ما حل بهم، فلم يجدوا إلا التقليد بالآباء فجاء جوابهم عن سبب العبادة، وبذلك اختلف الجواب هنا عن الشعراء؛ لأن السؤال في الشعراء كان خاليًا من الإشارة إلى الأصنام فأجابوه ببيان حقيقتها: ﴿ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ وكلمة: (عابدين) تدل على الاستمرار.

في (الصافات) لم يرد لهم جواب كما في الشعراء والأنبياء؛ لعلمهم بذلك التوبيخ والتبكيت فلم يجيبوه كما أجابوه في السابق، وذلك يدل على أن أجوبتهم قد نفدت وحججهم الباطلة انتهت من تقليد الآباء واتباعهم ومن بيان حقيقة تلك الأصنام، وكأنَّ شدة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – في دعوتهم للمرة الثالثة وبعد استخدامه لكل الطرق لهدايتهم إلى الطريق الصواب أخرستهم عن الجواب وكأنهم شعروا بالخجل.

---

(١) تفسير أبو السعود (بتصرف)، جـ٦، صـ ٧٢، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي على تفسير البيضاوي، للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر ابن محمد، جـ٧، صـ ١٨٧، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م– ١٤١٧هـ.

وفي (الشعراء) استمر إبراهيم - عليه السلام- في سؤالهم بأسلوب هادئ مستخدمًا الاستفهام: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾؛ لكي يتوصلوا إلى الجواب بأنفسهم وتلزمهم بذلك الحجة، وأنها آلهة لا تنفع ولا تضر، وأنها إذا عجزت عن السماع فهي عن الإجابة أعجز.

و﴿إِذْ﴾ظرفية بمعنى حين، أي: حين تدعون، وجاء من المضارع بعدها (تدعون) لاستحضار الصورة الماضية، وقوله: ﴿ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ وهذا أبلغ في التبكيت[1]، وبين (ينفعون) و(يضرون) طباق يؤيد تمام عجز الأصنام، وكل تلك الأمور أدل على حقارة تلك العبادة الباطلة التي لا تفيد ولا تضر، فجاء جواب القوم منه إضراب إلى كلام آخر ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

وفي الأنبياء: ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾.

فالآية الأولى: وجود ﴿ بَلْ ﴾ دون الآية الثانية؛ لاختلاف السؤالين ففي الشعراء ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ* أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ والجواب إما بالإثبات أو بالنفي، فلو أجابوا عنه بالنفي لاعترفوا بأنهم يعبدون آلهة لا تسمع ولا تنفع ولا تضر وبذلك تلزمهم الحجة ببطلان هذه العبادة، ولو أجابوا عنه بالإثبات لكانت مخالفة للحقيقة المشاهدة المحسوسة فيظهر كذبهم، وبذلك أضربوا عن جواب كان سيورطهم إلى جواب عن علة عبادتها وهو تقليد الآباء، وبذلك كانت﴿ بَلْ ﴾ لازمة للجواب ولا يمكن أن يتأتى بغيرها.

أما (الأنبياء) كان السؤال فيها: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ وهو سؤال على سبيل السخرية والتهكم أي: تعبدونها وأنتم تعرفون أنها تماثيل، فجاء جوابهم عن العلة في عبادتها فلا محل للإضراب هنا، والجواب لا يقتضي وجود ﴿ بَلْ ﴾.[2]

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، جـ٧، صـ ١٧٠.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، تحقيق د/ محمد مصطفى آيدين، جـ٢، صـ ٩٠٣، ٩٠٤ ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

وفي آية الشعراء قيل: ﴿ كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ والأنبياء قيل: ﴿ لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾وذلك مجانبة للتكرار من غير فائدة، ففي الشعراء تقدم ذكر العبادة والعكوف وكان السؤال ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ والإجابة﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، ومن ثمَّ عبر في الجواب الثاني بالفعل نظرًا لتقدم العبادة والعكوف مع الاكتفاء بدلالة الكاف التشبيهية واسم الإشارة على تعيين الفعل المقصود وهو: ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾

أما الأنبياء فلم يتقدم سوى ذكر العكوف في السؤال، ولم تذكر العبادة: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾.

ومن ثمَّ جاء الجواب: ﴿ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾لاختصاصها بالدلالة على المقصود مع تقدم ذكرها، والتغاير موجود في الأسلوب مع التعبير بها.[1]

ثم جاء رد إبراهيم – عليه السلام– متنوعًا في السور الثلاث:

في الشعراء: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

والأنبياء:﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

والصافات:﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

ويرجع هذا إلى أن الشعراء تمثل مرحلة البداية في الدعوة ففيها تخفيف من حدة الإنكار والتوبيخ وبُعد عن الذم المباشر حتى لا يصدهم عنه، وكانت فيها معاملة هادئة من قبل إبراهيم – عليه السلام– لأبيه وقومه، فناسب هذا أن يحكم على أصنامهم عن طريق الاستفهام الطويل، وأراد من الرؤية أن يستحضروا حقيقة أصنامهم في أذهانهم، وتخطى إبراهيم –عليه السلام–

(١) خصائص النظم القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام، د/ الشحات محمد أبو ستيت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ– ١٩٩١م، مطبعة الأمانة.

الوقوف عند الآباء إلى الأسلاف القدماء ليقطع عليهم تسلل التقليد[١].

ولم يذم القوم بنعت ما من النعوت، ولكن تخلص من ذلك إلى ذكر ربه رب العالمين والثناء عليه ليعرفهم بنعمه، وأكد الخبر بـ (إنَّ) واسمية الجملة؛ لإظهار الجزم في عقيدة التوحيد وإبطال الشرك، وإفراد (عدو) دون أعداء، لأن سبب العداوة الجامع بينهم واحد.[٢]

أما (الأنبياء): فهي تمثل مرحلة متأخرة في الدعوة وذلك بعد أن لاقى منهم ما لاقى من إعراض وإيذاء وإصرار على الكفر، ومن ثم اشتد التوبيخ عليهم وذمهم ذمًا مباشرًا بالخبر المؤكد بعدة تأكيدات، وذلك مناسب للتأكيد من بداية القصة ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

والخبر المؤكد هو: ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾وقد هزهم هذا الذم المباشر هزًا عنيفًا، وحرك مشاعرهم وهذا الرد القوى من قبل إبراهيم – عليه السلام – مؤكدا بالقسم و(قد)؛ لإثبات مضمونه بقوة وتقريره بوضوح، وتقديم (الأبناء) على (الآباء)؛ لأن الأبناء هم المخاطبون والمواجهون بهذا الرد تشديدًا على الإنكار عليهم، وأنهم في ضلال واضح ودعاهم للسؤال عن حقيقة ما جاء هم به ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ فأضرب إبراهيم – عليه السلام – عن كلامهم مبطلًا كونه من اللاعبين ببيان الرب الحقيقي مع الدليل على ربوبيته وهو خلقه السماوات والأرض ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

أما الصافات فلأنها تمثل مرحلة متأخرة جدًا في الدعوة عن سابقتيها، فلم ينتظر منهم إبراهيم –عليه السلام– جوابًا بل استمر في توبيخهم وتبكيتهم بالاستفهام الإنكاري: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(١) المرجع السابق، صـ٢١٣ (بتصرف).

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام، جـ٣ ، صـ ٩٨.

أي: تريدون آلهة من دون الله إفكًا، وتقديم المفعول ﴿ ءَالِهَةً ﴾على الفعل للعناية والاهتمام؛ لأن إنكاره هو المقصود، وإيثار لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهِ ﴾؛ لما فيه من تفخيم وتصريح بالألوهية في مقام يقتضى ذلك حيث اتخذوا آلهة مكذوبه على سبيل الإفك والبهتان.(١)

وفي تسمية الاعتقاد الخاطئ بـ(ظَنُّكُم)؛ مبالغة في الإنكار عليهم إلى أن توالت الاستنكارات العنيفة من إبراهيم –عليه السلام– لأبيه وقومه دون انتظار للجواب، وهذا إيجاز بديع في القصة القرآنية يشير إلى كبتهم وعدم قدرتهم على النطق، ويشعر بضيق صدره من تماديهم في الكفر والضلال ونفاذ صبره من سماع جوابهم.

ثم ينتهى الحوار من سورة الشعراء مع قومه وأبيه ، وقد كان حوارًا قصيرًا يعتمد على الهدوء؛ لأن الأصل في هذه السورة الحديث عن إبراهيم –عليه السلام– فقط إنما جاء ذكر القوم عرضًا.

اقتصر فيها إبراهيم –عليه السلام– على ثلاثة أسئلة وجهها إلى قومه في هدوء ولطف بعيد عن الشدة والعنف، إلى أن انتهى إلى بيان نعمه (ﷻ) التي تستوجب العبادة له (ﷻ)، وتبين لقومه قدرة ربه المطلقة على فعل ما يريد في مقابل عجز آلهتهم عن فعل شيء نافع أو ضار.

بينما يستمر الحوار في الأنبياء والصافات بدون هدوء بل فيه تأكيدات وحلف وشدة وقوة، وذلك في حواره معهم عن تحطيم الأصنام، وهو مشهد واحد لكنه جاء في السورتين محكيًا بعبارات متنوعة، وكأنه في إجابات عن كل الأسئلة التي قيلت والتي لم تُقل، فكان الحوار هنا في السورتين أشد وأكثر قوة وعنف.

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب،(بتصرف) جـ٥، صـ ٢٩٩٢.

ونلخص دعاء إبراهيم –عليه السلام– بإيجاز، وذلك فقط للتأكيد على هدوء إبراهيم –عليه السلام– في دعوته في سورة (الشعراء) فلم يكن الحوار طويلًا؛ لأنه كان في بداية الدعوة، وختم بإبراز نعمه (ﷻ)، ودعاء إبراهيم – عليه السلام– لنفسه وأبيه فذكر خمس صفات تتضمن نعمه – (ﷻ) عليه :

١- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ وتقديم المسند إليه على خبره الفعلي ﴿ فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾، من قصر صفة على موصوف قصر إضافي على سبيل القلب، أي: هو يهديني لا غيره.(١)

٢- ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴾ والتعبير بالمضارع؛ لأن الطعام والشراب يتجددان وبين الفعلين تناسب تام.

٣- ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ أسند (المرض) إلى نفسه والشفاء لله (ﷻ) مع أنهما من الله؛ مراعاة لحسن الأدب معه.(٢)

٤- ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ولم يعبر هنا بأسلوب القصر كما في النعم السابقة، لأن قومه لم يكونوا يزعمون أن الأصنام تميت أو تحيي، بل يزعمون أنها قادره على الإعانة أو الإعاقة في أعمال الناس في حياتهم.(٣)

٥- ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ وذكر ذلك تنبيه لأبيه (عمه) وقومه على أن يتأملوا في أمرهم ويعودوا لرشدهم.

٦- وبعد هذا الثناء من قبل إبراهيم – عليه السلام – ختم حواره مع قومه بمناجاة الله (ﷻ)، ومناسبة هذا الدعاء لما قبله ظاهرة، وذلك أنه –عليه السلام – لما أبلغ قومه دعوة ربه (ﷻ)، وأثنى عليه بنعمه الجليلة ناسبه ذلك أن يبتهل لربه بالدعاء، فمثل هذا المقام مما يرجى فيه قبول الدعوات، وتتضمن مناجاته ستة أدعية:

---

(١) تفسير الرازي، جـ٦، صـ ٣٧٧، دار الفكر، بيروت، لبنان (بدون طبعة).

(٢) تفسير أبي السعود، جـ٦، صـ ٢٤٩.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، جـ١٩ صـ ١٤٣.

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾.

"يرى بعض المفسرين أن حكاية حوار إبراهيم –عليه السلام– تنتهي بنهاية هذا الدعاء، حيث يعرض بعد ذلك مشهد من مشاهد يوم القيامة، إذ ختم إبراهيم –عليه السلام – دعاءه بألا يخزيه الله (ﷻ) في هذا اليوم".(١)

"ويرى آخرون أن مشهد يوم القيامة داخل في حكاية كلام إبراهيم – عليه السلام–، وقد آثرنا الرأي الأول؛ لأن مشهد القيامة لم يرد محكيًا عنه كما في الآيات السابقة له، وآياته تنطق بأنه مشهد عام بين ثواب المتقين وعقاب الكافرين، وليس محكيًا عن قول إبراهيم –عليه السلام–" .(٢)

"وأرى –والله أعلم – أن كل تلك الآيات داخلة في حكاية كلام إبراهيم – عليه السلام–؛ لأنها مناسبة للنهج الذي سلكه في دعوته لأبيه (عمه) وقومه، وهو منهاج الرقة والمعاملة الطيبة فرغبهم في عبادته (ﷻ) من جانب، ومن جانب آخر دعا الله (ﷻ) ليغفر له ولأبيه، فهو من قومه ودعوته له وطلب الغفران له مقدم على قومه، حتى يرق قلبه وقلب قومه ويخضع لله (ﷻ)"(٣).

ومع ذلك يستمر الحوار بينه وبين أبيه (عمه) وقومه في (الأنبياء–الصافات) وقد بلغ الحوار فيهما ذروته عن تكسير الأصنام، وهو مشهد واحد لكنه جاء محكيًا بعبارات متنوعة.

فسورة الصافات بنيت على الحوار من جانب واحد وهو إبراهيم –عليه السلام –، حيث طويت فيها إجابات القوم عن أسئلته، ومقولاتهم فبدت وكأنها

---

(١) تفسير التحرير والتنوير(بتصرف)، جـ١٩، صـ١٤٧، في ظلال القرآن، جـ٥، صـ ٢٦٠٥.

(٢) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم –عليه السلام – صـ ٧٤.

(٣) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم –عليه السلام – صـ ٢٦١.

تساؤلات نفسية يلقيها إبراهيم –عليه السلام– على نفسه متفكرًا فيها، غير منتظر إجابة أحد عنها لذا نجد تفصيلًا في عرض الأحداث التي من جانبه، ويغلب عليها طابع التأمل والتفكر كالتساؤلات المتتابعة في توبيخهم على عبادة الأصنام ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى التفكر ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾.

وكأنها إجابات لأسئلة طويت، مثل: ما الحيلة التي لجأ إليها إبراهيم –عليه السلام– لتنفيذ مراده؟ وكيف ذهب إلى الأصنام وكسرها؟ وكيف وبخها وسخر منها؛ لعدم قدرتهم على الأكل والنطق ثم انهال عليهم ضربًا قويًا للقضاء عليهم.

وتظهر الشدة في التوبيخ في الاستفهام: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، هذا الاستفهام التوبيخي الإنكاري، وكذلك تسمية الأصنام آلهة على سبيل التحقير والاستهزاء.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾، واستعمال ضمير العقلاء في مخاطبة الأصنام مبني على تسميتها آلهة ومعاملتها معاملة عبدتها؛ إمعانًا في الاستهزاء بها من حيث إن القول مخالف للاعتقاد والحقيقة، وكذلك ﴿ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ كناية عن قوته وشدته".[1]

وفي كل هذا تظهر قوة إبراهيم –عليه السلام– في القول والفعل معًا؛ وهذا لأن (الصافات) تمثل مرحلة متأخرة جدًا للدعوة فكأن صبره نفد، فانتقل من اللين والعطف إلى القوة والشدة في التوبيخ.

وبينما في (الصافات) أشار إلى تكسير الأصنام ﴿ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾أشار إليها في (الأنبياء) بقوله:﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ

(١) تفسير أبي السعود، جـ٧، صـ ١٩٧.

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ * قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾.

فانظر إلى هذا النظم القرآني البديع الذي فصَّل مشهد تكسير الأصنام، وجدال إبراهيم – عليه السلام– مع قومه، بينما الإيجاز الرائع في (الصافات) في قوله:﴿ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾التي اختصرت هذا المشهد الجميل.

والسر في هذا التفصيل في سورة (الأنبياء) أنها تقوم على الحوار من الجانبين: سؤال من إبراهيم وجواب من القوم أو العكس ولذا نجدها فصلت الأحداث التي يلزمها حوار من الجانبين: كالسؤال عن الفاعل والإشارة إليه ورجوعهم إلى أنفسهم للومها بعد تبين الحق، وهذه الأحداث لم تفصلها (الصافات)؛ لاهتمامها بحكاية ما صدر عن إبراهيم – عليه السلام– دون ما صدر عن القوم(١).

وفي (الصافات) ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ بإيجاز بديع، بينما في (الأنبياء) ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ كيف فصلت (الأنبياء) السؤال ولم تفصله (الصافات)، وكيف كانت المواجهة أشد وأشد في (الأنبياء) بداية من القسم والتوكيد ومن تغيير المنكر بالقول إلى الفعل بعد ما رأى من إصرارهم على الضلال ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ .(٢)

وتتشابه نهاية تكسير الأصنام في (الصافات والأنبياء) من حيث بنائها على الاستفهام التوبيخي المسلط على العبادة مع بيان أوصاف تلك العبادة

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم –عليه السلام –(بتصرف) صـ ٨٨.
(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري، جـ٢، صـ ٥٧٦ ، مطبعة مصطفى الحلبي.

الباطلة لكي يقيم الحجة عليهم.

ففي الصافات: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

والأنبياء: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

والتنوع في النهايتين من وجوه:

١- في الصافات: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ﴾من غير فاء، وقيل في الأنبياء ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾بالفاء، والسر في ذلك أن الاستفهام التوبيخي في الأنبياء بُني على قول سابق لهم، وهو قولهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ فجاء ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾مبنيًا عليه، أما الاستفهام في الصافات فليس مبنيًا على مجيئهم إليه بل بينهما أحداث مطوية وهو التحقيق معه.

٢- في الصافات: ﴿ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ والأنبياء: ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ولعل السر في ذلك أن الصافات لم يتقدمها ذكر لحقيقة تلك المعبودات؛ لأنها مبنية على إيجاز بديع فناسب ذلك أن يكشف عن حقيقتها.

أما الأنبياء فتقدم فيها الإشارة إلى أنها تماثيل من صنع أيديهم وجمادات لا تنطق، فناسب ذلك وصفها بوصف لم يتقدم ذكره هو عدم قدرتها على نفعهم أو ضرهم.

٣- قيل في الصافات: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ولم يرد هذا في الأنبياء، والسر في ذلك أن هذه الجملة من موجبات التوبيخ الذي اعتمدت عليه سورة (الصافات) من البداية؛ لأنه (ﷻ) خالقهم على العموم والأولى بالعبادة ولم يتقدمها بيان لقدرته (ﷻ)، بينما في الأنبياء ورد في الآية نفسها قوله:" ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعرفهم الإله الحق في قدرته على خلق السموات والأرض ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾، فناسب هذا عدم تكرار ما دل على قدرته (ﷻ) نظرًا لتقدمه.

وختم هذا بالتضجر منهم ومن آلهتهم وتوبيخهم بعدم معرفة الحقائق، وهذه اللهجة الشديدة مناسبة لجو القصة حيث ظل يجادلهم ويحاورهم طويلًا بدون فائدة، كما أنهم اعترفوا بالحق وعاينوه ثم انقلبوا عنه إلى الباطل، وهذا مما يثير غضب الحليم، ويستوجب شدة التعنيف.(١)

ويأتي إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار في السورتين:

الصافات:﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾.

الأنبياء:﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ * قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾.

الأنبياء فصَّلت قولهم تفصيلًا عبقريًا بما أوجز في الصافات، وهذا ينفي التكرار في عرض الإلقاء في النار حتى لا يشعر القارئ بأنه يقرأ ما قد سبقت قراءته ويكتسب حقائق جديدة من كلتا السورتين.

وأنهم ردوا على إبراهيم – عليه السلام– بنفس الشدة التي واجههم بها، وإن كان انتقادهم أشد من إبراهيم – عليه السلام–، وتقديم الجار والمجرور(صخ) مشعر بالتخصيص، والأمر بالبناء يشير إلى شدة كيدهم، ويطوي السياق بنائهم للبنيان وإلقائه في الجحيم؛ ليوجز كل هذا في جملتين:﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾، و(الأنبياء) تبعًا؛ لأن الدعوة فيها كانت أشد جاء فيها تفصيلًا أكثر، وتظهر تلك الشدة في صيغة الفعل بالتشديد ﴿ حَرِّقُوهُ﴾ مبالغة في حرقه ورميه في النار، ويطوي السياق مشهد إعداد النار بالحطب؛ ويرجع ذلك إلى السرعة التي تم بها تنفيذ الحكم ونجاته منه، إذ يوحي بعدم وجود فاصل بين الأمر والتنفيذ.(٢)

---

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم– عليه السلام–، صـ ٢٦٢، ٢٦٣.

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (بتصرف)، جـ٦، صـ ٢٦٣، الطبعة الأولى ١٩٩٧م– ١٤١٧هـ، بيروت– لبنان.

وختم ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾.

فجيء بالفاء في (الصافات) والواو في (الأنبياء)؛ لأن إرادة الكيد في الصافات جاءت بتنفيذ الأمر بسرعة دون فاصل زمني، وأن الصافات بينت نجاة إبراهيم – عليه السلام– فلا تفهم النجاة بدونها، وأنها كانت عقب الإلقاء في النار مباشرة.

أمَّا الأنبياء فنجاته من النار كان مصرحًا بها في قوله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، فجاء ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ بمثابة تعقيب وتلخيص لما حدث، وهذا لا يحتاج إلى بيان ترتبه على إلقائه في النار ومن ثم جيء بالواو.

في الصافات:﴿ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ والأنبياء: ﴿ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾؛ لأن الأنبياء كان فيها مكايدة أشد بين إبراهيم –عليه السلام– وبين قومه ولكن مكايدته نجحت وخسروا؛ لأنه كسر أصنامهم ولم يبلغوا مرادهم من إحراقه فذكر: ﴿ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾، أما الصافات؛ لأنهم هم الأسفلين في الدنيا والآخرة، وأنه تعالى نجى نبيه فانقلب الأمر عليهم.

في الشعراء﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ وفي الصافات ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾؛ لأن إبراهيم – عليه السلام– في الشعراء كان يرغبهم في عبادته (ﷻ) برفق وحنو وعطف فذكر نعمه (ﷻ) عليه، وكأنه يقول: ماذا تفعل تلك الأصنام لكم ؟

ولكن في الصافات تدل الآية على معنى المهاجرة إلى الله (ﷻ)، وهذا عندما وجد أن دعوته لا تؤثر فيهم ففضَّل المهاجرة للدعوة لله (ﷻ)، ولم يقصد مكانًا بعينه وأنه مصمم على ذلك، وأن الإتيان بالتأكيد بـ (طه) واسم الفاعل: ﴿ ذَاهِبٌ﴾ مشعر بذلك، والسين في ﴿سَيَهۡدِينِ﴾؛ لتأكيد الوقوع في المستقبل.[1]

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، جـ٧، صـ ٢٧٨.

وتشترك (الأنبياء– الصافات) في ختمها بتعداد النعم الجليلة التي أنعم الله تعالى بها على إبراهيم– عليه السلام–بعد اعتزاله قومه مسندة إلى نون العظمة، ومبدوءة بنعمة الأولاد؛ لأنه أصبح في أمس الحاجة إلى الأولاد بعد هجرته أهله ووطنه في سبيل الله (ﷻ) (١).

الأنبياء: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾.

الصافات: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ وقيل في إسحاق: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

فعبر في (الصافات) بالبشارة وليس الهبة؛ وذلك يرجع إلى أن التعبير بالهبة مشعر بأنه (ﷻ) منحه هذه النعم دون مقابل منه، وأنه (ﷻ) راضٍ عنه محب له؛ لأن الواهب يكون عادة راضيًا عن الموهوب له وحانيًا عليه، ونون العظمة تشير إلى اختصاص الله (ﷻ) بذلك حتى لا يقدر على هذه الهبة سواه، أما (الأنبياء)؛ لأنها لم يرد فيها ذكر للنعم ولم يرد فيها قصة إسماعيل –عليه السلام– وما لاقاه إبراهيم – عليه السلام– معه من ابتلاء وفداء عظيم.

وتقديم الجار والمجرور﴿ لَهُۥٓ﴾ للاهتمام والتشويق إلى المؤخر: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾، وقد رتبت ترتيبًا دقيقًا وجاءت في جمل موصولة للتوسط بين الكمالين واتحادهم في الخبرية، ولما كانت الهبة خاصة بإبراهيم –عليه السلام– أوقعت عليه خاصة، أما بقية النعم فهي عامة لهم جميعًا ومن ثم أوقعت عليهم.

بينما في الصافات ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ فعبر هنا بالبشارة لما لاقاه إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه (عمه) وقومه من شدة، سواء كانت تلك الشدة من جانبه أو من جانب قومه، حتى أن تلك الشدة تمثلت في

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم– عليه السلام–، د/ الشحات، صـ ٢٦٨، ٢٦٩.

قصته مع إسماعيل –عليه السلام– ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾، فكأنه بذل في ذلك جهدًا مضنيًا ودعا ربه وانتظر نتيجة الدعاء فناسب ذلك لفظ التبشير، وجاء هذا اللفظ بعد نجاته من أزمته مع ابنه، وكأنه تعالى قال له: وبشرناك بأخيه إسحاق مثوبة لك على صبرك وطاعتك.

وأن كلمة البشارة أبلغ من الهبة؛ لأنها يندرج تحتها الكثير من ولادة إسحاق – عليه السلام– واستمرار الصلاح في ذريته، وأن كلمة البشارة تأتي بعد ما يمر به الإنسان من خطب عظيم هائل.(١)

وهكذا نلاحظ أن لغة النظم في (الشعراء) تجمع بين السهولة والجزالة في آيات ذات صياغة هادئة، سواء في الاستفهام أو الخبر حتى تنتهي بالدعاء الخاشع لله (ﷻ).

و(الأنبياء) آيات متوسطة الطول تميل إلى القوة تبعًا للحوار القائم بين إبراهيم – عليه السلام– وأبيه وقومه، اعتمدت على التأكيد في أغلب آياتها، واتجه فيها إبراهيم – عليه السلام– إلى الاحتجاج العقلي، و(الصافات) آيات تميل إلى قوة وشدة أكثر تعبر عن الإنكار الشديد والتوبيخ العنيف لقومه ولأبيه (عمه)، وتعبر عن الحقد الدفين للأصنام التي لا تنطق ولا تعقل حتى في انتقامهم من إبراهيم – عليه السلام– بوسائل شتى سواء بالقول الشديد أو الفعل من الإلقاء في النار ونجاته – عليه السلام– منها.

(١) تفسير التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور(بتصرف)، جـ٢٣ ، صـ ١٦٢.

الفصل الثالث

بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١). صدق الله العظيم

(١) سورة العنكبوت (١٦: ٢٧)

بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة

ورد مطلع قصة إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لقومه فقط في سورة العنكبوت، ويبدأ بالدخول في الموضوع مباشرة دون تمهيد :﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

وهو مناسب لسياق سورة العنكبوت حيث الحديث فيها عن الفتن والصبر عليها، وهي مناسبة لعرض قصص بعض الأنبياء، وبيان صبرهم على إيذاء قومهم وتحملهم لما يُبلَون به في سبيل الدعوة إلى الله (ﷻ)، فتبدأ بقصة نوح – عليه السلام– ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا... ﴾

وتلتها قصة إبراهيم – عليه السلام– فيها تفصيل للدعوة، وما لاقاه إبراهيم – عليه السلام– من إيذاء قومه وصبره على هذا الإيذاء.

و"تمثل الدعوة هنا مرحلة متأخرة جدًا لذلك بدأت بالأوامر القوية والأخبار المؤكدة، وخلوها من الحوار بين الطرفين"(١)، وتلك الأوامر القوية من قبل إبراهيم – عليه السلام– تدل على القوة في ذمهم، وأن ما يعبدونه باطل لا يستحق العبادة، وبنيت على استحضار الصورة الماضية غير مصرحًا بها في قوله: (إذ) الظرفية، أي: اذكر.

والدعوة هنا اتخذت منهجًا مختلفًا في الأمر المباشر من حيث الآتي:

١- إظهار الحقيقة لهم في قوله: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ من عطف التقوى على العبادة، وهو عطف عام على خاص؛ لأن التقوى أشمل من العبادة ولخصوصيتها فيما يتعلق بأمور الدين.

---

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري، جـ٣، صـ ٢٠٠.

"وفي الإشارة: ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وأن الكل مشترك في هذا الباطل إن كنتم تدققون النظر، فأطلق العلم وأراد النظر والتفكر، وهو سبب العلم على سبيل الكناية".(١)

ولكي يقنعهم أكثر اتجه إبراهيم– عليه السلام– في دعوته لهم بأساليب مختلفة تجمع بين الأمر والقصر والإخبار المؤكد والاستفهام فبعدما دعاهم بكل الطرق بين دعوة هادئة فيها رفق ولين إلى دعوة فيها شدة إلى أخرى فيها تعنيف وتوبيخ أكثر، اتجه هنا إلى الأمر المباشر بالدعوة مع سرد بعض الأدلة.

٢– استخدامه – عليه السلام– للقصر: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

" والقصر بـ ﴿إِنَّمَا﴾ يفيد أن الخبر أمر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، فعبادتهم الأوثان وخلقهم الإفك من الأمور المعلومة الواضحة التي لا تُجهل ولا يشك بها".(٢)

وهو من قصر الصفة على الموصوف، أي: ما معبودهم إلا أوثانًا وما مخلوقاتهم إلا إفكًا.

أو قصر موصوف على صفة، أي: قصرهم على عبادة الأوثان وخلق الإفك والباطل فكأنهم صنعوه واخترعوه.

٣– اتجه إبراهيم – عليه السلام– إلى الأخبار المؤكدة، وهو مناسب لمقام

---

(١) حاشية زاده على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، جـ٤، صـ ٦، دار صادر– بيروت– لبنان.

(٢) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر، صـ٣٣، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الإعراض والإنكار من جانب قومه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾، أكدت بـ ﴿ إِنَّ﴾ واسم الموصول، وتنكير ﴿رِزۡقٗا﴾؛ للتحقير والتقليل فالأصنام لا تملك لهم رزقًا فليسوا في حاجة إليها وعليهم أن ينبذوا عبادتها، وهنا يظهر استخدام إبراهيم – عليه السلام– لأدلة عقلية لا ينكرها عاقل مفكر وذلك زيادة في الإقناع.

٤- رجوعه للأمر مرة أخرى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ وبينها وبين: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ﴾ ارتباط وثيق؛ لأن العبادة والشكر من أسباب الرزق.

وهنا نلاحظ أن إبراهيم – عليه السلام– دعا قومه دعوة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض بداية من أمرهم إلى إظهار حقيقة عبادتهم وفسادها، وأن الرزق يجب أن يطلب من الله (ﷻ) لا من غيره.(١)

٥- ثم الاستفهام: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾، استفهام تقريري للتوبيخ، و(كيف) هنا ليست للاستفهام بل هي بمعني كيفية بدء الخلق، والتأكيد بـ ﴿إِنَّ﴾؛ للتنبيه ولفت الأنظار إلى طلب الإخبار.(٢)

وفي إظهار اسم الإشارة مزيد من الهيبة والخشية والخوف من الله (ﷻ).

٦- ثم يعود إبراهيم– عليه السلام– إلى الاستدلال العقلي على قدرة الله (ﷻ) ليكون تأثيره أبلغ وأوقع: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ * يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ * وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، جـ٥، صـ ٢٧٢٨، الطبعة السابعة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨، دار الشروق – بيروت – لبنان.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، جـ٢٠، صـ ٢٢.

وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

فالسير في الأرض وسيلة للوقوف على دلائل قدرته تعالى ونعمه الجليلة.(١)

والأمر القوي: ﴿ قُلْ سِيرُواْ – فَٱنظُرُواْ﴾ أي: ليس مجرد السير والنظر بل سير بتفكر وتأمل وتعقل لقدرته (ﷻ) في الخلق.

وفي تقديم العذاب على الرحمة: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾؛ لأن المقام مقام ترهيب إذ الحديث عن المكذبين المستحقين للعذاب.

وفي إظهار لفظ الجلالة في الآيات السابقة، مناسب لمقام التخويف من عذابه وتعظيمًا له.

"وفي التعبير بقوله: ﴿رَّحْمَتِي﴾مشعر بملكيته (ﷻ) للرحمة واختصاصه بها دون غيره، وفي تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد، وتنكير العذاب ووصفه بالأليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى".(٢)

وتقديم الجار والمجرور: ﴿لَهُمْ ﴾؛ للاهتمام ببيان كون العذاب لهم، وجاء الخبر جملة اسمية؛ لأن العذاب ليس أمنية لهم بل هو معد لهم وثابت في حقهم لا عدول عنه.

ثم يطوي السياق ما جرى بينه وبين قومه في شأن الأصنام وعزمه على تكسيرها كما فصلته السور السابقة.

والقائلون طائفة من القوم، وأسند القول إلى جميع القوم دلالة على اتفاق كلمتهم على الانتقام منه ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ

(١) تفسير التحرير والتنوير، جـ٢٠، صـ ٢٣.

(٢) تفسير أبو السعود، جـ٧، صـ ١٣٦.

حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾، وكلمة ﴿حَرِّقُوهُ﴾ بالتشديد تفيد شدة غيظهم منه، والمبالغة في الانتقام من إبراهيم – عليه السلام–.

بينما في الصافات: ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ .

وفي الأنبياء: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ... وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾.

فتتشابه (الأنبياء والعنكبوت) في كلمة: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ وما تفيده من الشدة والقوة تبعًا لسياق القوة في السورتين، ولكن ختمت العنكبوت بختام يختلف عن الأنبياء والصافات حيث ختمت بقوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وهو ختام يتناسب مع الجو العام لمطلع القصة حيث سبق فيها إظهار لقدرة الله (ﷻ)، وحث على السير في الأرض للنظر في كيفية بدء الله (ﷻ) الخلق وإعادته، وإخبار عن سوء مصير الكافرين ونجاة إبراهيم– عليه السلام– من النار، وهذا من آيات الله (ﷻ) في الأرض، وأن (الصافات والأنبياء) تمثل مراحل متأخرة من الدعوة لله (ﷻ).(١)

٧- والقصر ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾، وجاء القصر بـ ﴿إِنَّمَا﴾ مع كونهم ينكرون ذلك؛ تنزيلًا له منزلة الأمر المعلوم الذي لا ينكر، والتعبير بـ ﴿ ٱتَّخَذْتُم﴾ مشعر باستمرارهم على ذلك وكلمتا ﴿يَكْفُرُ-وَيَلْعَنُ﴾ دالتان على شدة الخصومة بين الفريقين العبدة والمعبودين، وصيغة المضارع تصور حالهم واستمرار الانكار وتجدده بينهم.

(١) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم– عليه السلام–، صـ ٢٦٧.

٨- عبر بالمُهاجرة ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، والجملة مؤكدة بـ (إنَّ)؛ لأن قرار المُهاجرة صعب على النفس يحتاج إلى تأكيد وتقرير، وإيثار (مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ) لما فيه من ثبوت هجرته وتصميمه عليها، وكذلك التأكيد بـ(إنَّ) ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ وضمير الفصل: ﴿هُوَ﴾.(١)

بينما في (مريم) عبر بالاعتزال: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، وعبر في (الصافات) بالذهاب وهو في معنى المُهاجرة، ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾؛ لأن العنكبوت كانت الدلالة فيها على المفارقة والبعد عن القوم أشد وأقوى، وهذه الشدة ملائمة لما قبلها من تشدده في ذمِّهم، وبيان مصيرهم المؤلم في الآخرة.

أما السياق في (مريم) فسياق لين وعطف ورقة فناسبه كلمة (الاعتزال والبعد).

أما (الصافات) عبر بالذهاب؛ لأنه خلص فيه إلى قصة إسماعيل – عليه السلام–، فهو كتمهيد الانتقال من قصة إلى أخرى.

وكذلك لم تذكر المهاجرة صراحةً في الأنبياء، وإنما تفهم من قوله: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾؛ لأن السياق فيها كله مسند إلى حكايته (ﷻ) وإلى نون العظمة .

وتشترك سورة العنكبوت مع باقي السور في إبراز النعم التي أسبغها الله (ﷻ) على إبراهيم – عليه السلام–:﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

٩– وفي التعبير بالهبة دليل على أنها بدون مقابل وبدون عناء، وفي التأكيد

(١) التحرير والتنوير، جـ٢٠ ، صـ ٢٣٦، ٢٣٧.

بـ(إنَّ) واللام؛ لتأكيد مضمونها في المستقبل وأنها محققة الوقوع، وجاءت تلك الجملة اسمية لإفادة ثبوت مضمونها، بينما النعم جاءت بالأفعال؛ لأنها حدث على فترات زمنية، فالتجدد فيها ظاهر ورتبت النعم فيها ترتيبًا دقيقًا.(١)

وعبر بالهبة في مريم والأنبياء والأنعام.

مريم: ﴿ وَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾.

الأنبياء:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾.

الأنعام:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾.

وفي (الصافات) بالتبشير: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

وقد سبق الحديث عن هذا في مطلع قصته – عليه السلام– مع أبيه وقومه.

وهكذا نجد أن آيات المطلع في سورة (العنكبوت) يغلب عليها الطول والقوة، لخلوها من الحوار واعتمادها على الأوامر القوية، والأخبار المؤكدة، والقصر، والاستفهام، فاختلطت فيها القوة والشدة مع الهدوء.

وفكرة حسن الاقتران، من الأفكار التي أشار إليها الإمام **عبد القاهر الجرجاني**، وإلى ضرورة وجودها في نظم الكلام، حيث قوله: " ومَبْنَى الطباع، وموضوعُ الجِبِلَّة على أنَّ الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهَد ظهوره منه، وخرج من موضعٍ ليس بِمُعَدٍ له، كانت صَبَابةُ النفوسِ به أكثر، وكان بالشَّغفِ منها أجدر، فسواءٌ في إثارة التعجُّب، وإخراجِك إلى روعةِ المستغربِ".(٢)

---

(١) المرجع السابق، جـ٢٠ ، صـ ٢٣٩.

(٢) أسرار البلاغة، للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: الشيخ/ محمود محمد شاكر،صـ١٣١، طبعة دار المدني– جدة– الطبعة الأولى١٤١٢هـ /١٩٩٦م.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين.

الحمد لله الذي وفقني إلى هذا البحث الذي استفدت منه الكثير والكثير.

ويعلم الله مدى الجهد الذي بذلته فيه، ولكن البحث في كتاب الله (ﷻ) يستحق هذا البحث والعناء والجهد.

واكتشفت مدى الحكم الإلهية العظيمة من تكرار بعض القصص القرآني، وهو ليس تكرار لمجرد التكرار فقط.

وقد كشفت هذه الدراسةُ عن نتائجَ أهمِها:

- أن كلَ قصةٍ تكررت في سورةٍ لها مكملُ آخرُ في سورةِ أخرى، وقد تُذكر القصةُ بالتفصيلِ في موضعٍ، وتجملُ في موضعٍ آخر، وهذا تبعًا لنزولِ الدعوةِ سواءً أكانت القصةُ تمثلُ بدايةَ الدعوةِ في سورة، بينما تمثلُ مرحلةً متأخرةً منها في سورةٍ أخرى.
- وجدتُ مدى دقةِ الألفاظِ والأساليبِ والمعاني في أسلوبِ عرضِ قصةِ الدعوة، وكيف تختلفُ من دعوتهِ – عليه السلام– لأبيهِ وقومهِ، وإلى أبيهِ فقط، وقومهِ فقط، ومدى قوةِ الحوارِ أو اللينِ فيه، وتأثيرُ ذلك على باقي القصة.
- واكتشفتُ مدى حُلُمِ هذا النبيِ العظيمِ، وصبرهِ على إيذاءِ قومهِ، وتحملَهُ المعاناةِ والعذابِ في سبيلِ الدعوةِ إلى اللهِ (ﷻ)، ومدى إصرارهِ على هدايةِ قومهِ الذين أصروا على عنادهِ ومعاملتهِ بغلظةٍ وجفاءٍ.
- وأساليبُ قصةِ الدعوةِ اختلفت بين أساليبٍ إنشائيةٍ متنوعةٍ تُشعرُ بالقرابةِ، والحنوِ والشفقةِ أحيانًا، وبالشدةِ والقوةِ أحيانًا أخرى، أو أساليبٍ خبريةٍ مؤكدةٍ وغيرِ مؤكدةٍ، تجمعُ في نظمِها بين القوةِ، والجزالةِ، والسهولةِ، وصورٍ بيانيةٍ معبرةٍ أتمَّ تعبيرٍ عن الغرضِ والهدفِ المنشودِ منها، وبين آياتٍ طويلةٍ، ومتوسطةٍ؛ تُبرزُ مدى قوةِ أو هدوءِ الدعوةِ الجليلة.

التوصيات:

– أوصتِ الدراسةُ بضرورةِ الاعتناءِ من قِبلِ الباحثين بالمسائلِ المشتركةِ بين العلومِ الإسلاميةِ ودراستِها، وإظهارِ نقاطِ الاتفاقِ أو الاختلافِ في ذلك.

– التعمقُ في علومِ القرآنِ الكريمِ لارتباطِها بالعلومِ اللغويةِ، هذا الارتباطِ يحققُ الثراءَ لعلومِنا الإسلاميةِ ويجعلُها معينًا لا ينضب على مرِ الأزمانِ وتعاقبِ الأجيال.

واللهُ – تعالى– أسالَ أن يباركَ في هذا العملِ وينفعَ به، وصلِّ اللهم على سيدِنا، ونبيِنا محمدٍ (ﷺ)، أفضلِ الخلق، وخاتمِ النبيين، وعلى آله، وصحبهِ أجمعين.

والله ولي التوفيق

د/ فاطمة الزهراء أبو الحمد حسين أحمد ربيع
مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

فهرس الآيات

اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
سورة مريم	٤١- ٥٠	٥٥٧
الأنعام	٧٤- ٩٠	٥٥٧ - ٥٥٨
الشعراء	٦٩- ٨٩	٥٧٣
الأنبياء	٥٢- ٧٣	٥٧٣ - ٥٧٤
الصافات	٨٣- ١١٣	٥٧٤ - ٥٧٥
العنكبوت	١٦- ٢٧	٥٩٥

فهرس المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أسرار البلاغة، للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، تحقيق: الشيخ/ محمود محمد شاكر، طبعة دار المدني- جدة – الطبعة الأولى١٤١٢هـ /١٩٩٦م.
٣- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، طبعة مكتبة الآداب – القاهرة –١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.
٤- التصوير الفني في القرآن الكريم، لسيد قطب، الطبعة الثالثة١٣٩٨هـ-١٩٧٨، دار الشروق – بيروت – لبنان.
٥- تفسير أبو السعود، لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي- بيروت لبنان.
٦- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، مكتبة وهبة.
٧- تفسير البيضاوي – للقاضي البيضاوي، مكتبة الجمهورية.
٨- تفسير القرآن الكريم، للإمام/ محمد متولى الشعراوي، أخبار اليوم، مكتبة الأسرة، ط١٩٩٢م.
٩- التفسير الكبير الرازي، دار الفكر- بيروت- لبنان.
١٠- تفسير التحرير والتنوير، الأستاذ/ الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية.
١١- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، للقاضي شهاب الدين أحمد ابن محمد بن عمر الخفاجي، للإمام/ أبي سعيد ناصر الدين عبد الله ابن عمر بن محمد، الطبعة الأولى ١٩٩٧م- ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

١٢- حاشية زاده على تفسير البيضاوي، للقاضي/ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، دار صادر- بيروت- لبنان.
١٣- خصائص النظم القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام، د/ الشحات محمد أبو ستيت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، مطبعة الأمانة.
١٤- درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، تحقيق د/ محمد مصطفى آيدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، جامعة أم القرى- مكة المكرمة.
١٥- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الثناء محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش شهاب الدين الآلوسي، تحقيق/ طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار الغد العربي.
١٧- علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم(دراسة بلاغية نظرية تطبيقية)، أ.د/ إبراهيم صلاح السيد الهدهد، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، مكتبة الإيمان، القاهرة.
١٨- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، مكتبة مشكاة الإسلامية.
١٩- في ظلال القرآن، لسيد قطب، الطبعة السابعة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨، دار الشروق – بيروت.
٢٠- قصص الأنبياء للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق/ محمد أحمد عبد العزيز، الطبعة الثامنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الحديث.
٢١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق/ الشيخ

عادل أحمد عبد الموجود– الشيخ/ علي محمد معوض، د/ فتحي عبد الرحمن حجازي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان– الرياض.

٢٢– لسان العرب، ابن منظور.

٢٣– ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل، للحافظ/ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي.

٢٤– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي، تحقيق/ عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

References

(1) The Holy Quran.
(2) Asrar al-Balaghah, by Sheikh Abdul Qaher bin Abdul Rahman bin Muhammad Al-Jurjani Al-Nahwi, achieved by: Sheikh / Mahmoud Muhammad Shaker, edition of Dar Al-Madani - Jeddah - first edition 1412 AH / 1996 AD.
(3) Bughyat Al-Idah to summarize t Al-Muftah fi Ulum Al-Balagha, by Al-Khatib Al-Qazwini, edited by: Abdul Mutaal Al-Saidi, edition of the Library of Arts - Cairo - 1420 AH / 1999 AD.
(4) Artistic Photography in the Holy Qur'an, by Sayyid Qutb, third edition 1398 AH - 1978, Dar Al-Shorouk - Beirut - Lebanon.
(5) Tafsir Abu Al-Saud, by Abu Al-Saud Al-Emadi, Dar Ihya' AL-Turath Al-Arabi - Beirut, Lebanon.
(6) The rhetorical interpretation of the interrogative in the Holy Qur'an, Dr. Abdul Azim Ibrahim Al-Muta'ni, first edition 1420 AH - 1999 AD, Wahba Library.
(7) Tafsir al-Baydawi – by al-Qadi al-Baydawi, Library of the Republic.
(8) Tafsir the Holy Qur'an, by Imam / Muhammad Metwally Al-Shaarawy, Akhbar Al-Youm, Family Library, 1992 AD.
(9) Tafsir al-Kabir al-Razi, Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon.
(10) Tafsir al-Tahrir wal-Tanweer, Mr. Tahar Ben Achour, Tunisian edition.
(11) Hashayat Al-Shihab on Tafsir al-Baydawi, by Judge Shihab Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Omar Al-Khafaji, by Imam / Abu Saeed Nasser Al-Din Abdullah bin Omar bin Muhammad, first edition 1997 AD - 1417 AH, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut - Lebanon.
(12) Hashayat Zadeh on Tafsir al-Baydawi, by Judge / Shihab Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Omar Al-

Khafaji, Dar Sader - Beirut - Lebanon.
(13) Characteristics of the Qur'an Systems in the Story of Abraham, peace be upon him, Dr. Shahat Muhammad Abu Steit, first edition, 1412 AH - 1991 AD, Al-Amana Press.
(14) Durrat al-Tanzeel wa Gharrat al-Ta'weel, by Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Asbahani known as Al-Khatib Al-Iskafi, edited by Dr. Muhammad Mustafa Aydin, first edition, 1422 AH - 2001 AD, um Al-Qura University - Makkah.
(15) Evidence of Miracles by Abdel Qaher Al-Jurjani, investigated by / Mahmoud Mohamed Shaker, Family Library, Egyptian General Book Organization.
(16) Ruh Al-maeani in Tafsir the Holy Qur'an and the Seven Mathani, by the scholar Abi Al-Thanna Mahmoud bin Abdullah bin Mahmoud bin Darwish Shihab Al-Din Al-Alusi, investigated by Taha Abdul Raouf Saad, first edition 1418 AH - 1997 AD, Dar Al-Ghad Al-Arabi.
(17) Ealaqat al-matalie bi al-maqasid fi Al-Quran Al-Karim (a rhetorical theoretical and applied study), Prof. Dr. Ibrahim Salah Al-Sayed Al-Hudhud, first edition 1432 AH / 2011 AD, Al-Iman Library, Cairo.
(18) Linguistic differences, by Abu Hilal al-Askari, Mishkat Islamic Library.
(19) In the shadows of the Qur'an, by Sayyid Qutb, seventh edition 1398 AH - 1978, Dar Al-Shorouk - Beirut.
(20) Stories of the Prophets by Imam Abu al-Fida Ismail Ibn Kathir, edited by Muhammad Ahmed Abdul Aziz, eighth edition 1419 AH - 1998 AD, Dar al-Hadith.
(21) Al-Kashaf ean Haqayiq Ghawamid Al-Tanzil wa euyun al'aqawil fi Wujuh al-Taawil, by the scholar Jarallah Abu al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari, edited by Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawjoud - Sheikh / Ali Muhammad Moawad, Dr. Fathi Abdul Rahman

Hijazi, first edition 1418 AH - 1998 AD, Obeikan Library - Riyadh.
(22) Lisan al-Arab, Ibn Manzur.
(23) Malak al-Ta'wil alqatie bidhawi al'iilhad wa altaetil in directing the verbal similarity from the verse of the Qura'n, by Al-Hafiz / Ahmed bin Ibrahim bin Al-Zubair Al-Thaqafi.
(24) Nazm al-Durar fi Tasnab al-Ayat wa al-Surahs, by Burhan al-Din Abi al-Hassan Ibrahim bin Omar al-Beqai, edited by / Abdul Razek Ghaleb al-Mahdi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut 1415 AH - 1995 AD.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥٥٠
تمهيد: إبراهيم –عليه السلام– والدعوة إلى عبادة الله (ﷻ)	٥٥٢
الفصل الأول: بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه (أو عمه)، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة.	٥٥٩
الفصل الثاني: بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لأبيه وقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة.	٥٧٥
الفصل الثالث: بلاغة التنوع في أسلوب العرض لقصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– في دعوته لقومه، وتلاؤمه مع معاني وأساليب القصة.	٥٩٧
الخاتمة	٦٠٥
فهرس الآيات	٦٠٧
فهرس المراجع	٦٠٨
فهرس الموضوعات	٦١٤